

د. صلاح الدين النكدلي

آراء في الدعوة والحركة

(الجزء الثالث)

© Islamischer Info. Dienst Verlag

العنوان

I.I.D e.V.

P.O. Box 100810

D-52008 Aachen

Germany

Tele: +49 241-538873

Fax: +49 241-538887

Email: [iifd@iifd-afraid.com](mailto:info@iifd-afraid.com)

Website: www.iifd-afraid.com

1. Auflage, 06.2009

الطبعة الشبكية الأولى

جمادى الآخرة / 1430 هجري

حزيران / يوليو 2009 ميلادي

نسخة مزيّدة ومنقحة

الناشر: الدار الإسلامية للإعلام

جميع الحقوق محفوظة للدار الإسلامية للإعلام

Copyright © 2009, I.I.D e.V.

All Rights Reserved

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

آراء في الدعوة والحركة

الجزء الثالث

د . صلاح الدين النكدلي

الطبعة الشبكية الأولى
جمادى الآخرة / ١٤٣٠ هـ
حزيران / يونيو ٢٠٠٩ م
نسخة مزيدة ومنقحة

الناشر : الدار الإسلامية للإعلام

© *Islamischer Info. Dienst Verlag*

العنوان

I.I.D e.V.

P.O.Box: 100810

D-52008 Aachen

Germany

Tel: + 49 241-538373

Fax: + 49 241-538887

Email: iid@iid-afraid.com

Website: www.iid-afraid.com

1. Auflage, 06.2009

المحتويات

٥	تحذير الناس من اعوجاج فقه (الخواص)!
١٠	العصية المنتنة!
١٣	الحلم سيد الأخلاق
١٧	العدل أساس العمران
١٨	احذروا التحوير من الباطن
٢٢	المسلمون وأخلاق القوة
٢٥	النقد مطلوب وأساسه المعرفة
٢٩	الإسلاميون وعوامل الضغط
٣١	حولوا الشعار إلى واقع
٣٤	آثار ضعف التكوين الشرعي
٣٧	اتركوا الحوار بالخناجر!
٤٠	السبيل إلى تعاون مثمر
٤٤	إذا لم تشغل نفسك بالحق شغلتك بالباطل
١٦	ما قولك في هذا الكلام؟ (كلمات في منهجية الفهم)
٤٨	ليس من البرّ الصيام في السفر
٥١	النافلة ليست فرضاً!
٥٣	لا تكذبوا على الله!
٥٧	سأل سائل؟
٥٩	المسلم حرٌّ ومحرّر
٦٢	من يبني الحاضر ويهيئ للمستقبل؟
٦٧	الوقت في حسّ المسلم
٦٩	ماذا أعددتنا للحساب؟
٧٢	إن الدين يسر

- ٧٧ في الغرب ناسٌ يرون ما نرى ويقولون الذي نقول
- ٨٧ لماذا يخوفون من الإسلام؟
- ٩١ فخ العولمة

تحذير الناس من اعوجاج فقه (الخواص) !

قال رجل فاضل تلوح عليه علائم النباهة : كم أتمنى أن ينهض صاحب قلم سيال وبيان حكيم إلى تأليف كتاب بعنوان : (تحذير الناس من اعوجاج فقه الخواص)!

سألته : ولم هذا العنوان المثير !؟

قال : لأنه حين يظهر في الأمة ما يدعو إلى تحذيرها من شرور مستطيرة ، فإن الواجب يجتم على أهل المعرفة بيان الحقائق العاصمة من القواصم ، وإظهار الموقف الشرعي من الانحراف والفساد المدمر .

ونحن في زمان برز فيه على السطح في عدد من حواضر العالم الإسلامي -في ظروفه العجيبة الغريبة- شبان يصدق فيهم قول الشاعر :

إنَّ الشَّجَاعَةَ فِي الْقُلُوبِ كَثِيرَةٌ وَوَجَدْتَ شَجْعَانَ الْعُقُولِ قَلِيلًا

ونتيجة لاختلال التوازن بين شجاعة العقل وشجاعة القلب .. اتخذ الشبان رؤوساً منهم .. رأوا أنهم أهل لقيادتهم إلى تحقيق أهداف الإسلام .. وخاصة تلك التي تتعلق بالحكم .. وأطاعوهم فيما أفتوا فيه ، وبخاصة في الدماء والأعراض !! . واقتنع الأمراء ومريدوهم أنهم خلاصة الأمة فهماً وجهاداً !! .. وصار لهؤلاء (الخواص) فقه وكُتُب ونشرات !! ، ورتبوا مقدمات ألزمتهم بنتائج طعنت الأخلاق في مقتل ، وجرّت على العباد والبلاد ، في عدد من المواطن ، الشر والخراب !؟

قلت له : أنا معك في خطورة (الفقه المتأزم) ولكن كيف نعالجه في ظروف القهر المحلي والدولي الذي يمارس على المسلمين .. وعلى تيار التجديد الإسلامي بشكل خاص !؟

قال : لا شك في أن الفراعنة والقوارين ، الداخليين والخارجيين ، قد صنعوا جواً يريدون منه تأزيم كل من يعارضهم ويدعو إلى تغيير الأوضاع المهلكة لإنسانية الناس وكرامتهم .

وعلى الرغم من ذلك فإنه لا يصح أن يتصرف أتباع الرسل عليهم الصلاة والسلام بجهل يعطي الفراعنة (ميررات) المحاصرة والتصفية .. ولا أكتمك أن هناك جهات تعمل على استفزاز

دعاة التجديد قبل أن يستوي زرعهم على سوقه .. لأن هؤلاء الطغاة يتعاملون مع كل فكرة ترفض ما هم عليه وفق قاعدة (الوقاية خير من العلاج) . ويرون أن الأزمة الصغيرة مقدور عليها .. أما إذا كبرت فلربما استعصت على الاحتواء ، لذلك يعمدون إلى إخراج كل تيار عن مساره الأصلي في مراحل تكوينه الأولى .. تمهيداً لإنهائه مضموناً وشكلاً .

ثم سرح النظر في تجارب الانفعاليين من تيار الصحوة الإسلامية المعاصرة .. فإنك واجد أنها أسفرت عن :

- تحطيم كثير من الإمكانيات التي كانت تنمو وتصفو يوماً بعد يوم .
- ومحاصرة ما تبقى منها بالسجن والتشريد والمخاوف والمغريات .
- وتأزيم فئة من الناحية الأخلاقية .. وربما أثرت الأزمة على صيغة التزام فريق بدين الله عز وجل على المستوى الفردي .

تدخلت قائلاً : ألا ترى أن الجهر بتخطئة فصائل إسلامية تعيش صراعاً مع الطاغوت أو مع منحرفين يجرح هؤلاء العاملين .. وقد يستخدم الخصوم مواقف المنكرين - وخاصة إذا كانوا من أهل العلم - في تشويه سمعة إخوة مخلصين لكنهم - في نظرنا - مخطؤون؟!

قال : هذه مسائل تحتاج إلى تفصيل :

- ١- لو انحصر أثر فقه الانفعاليين فيهم ، ولم يمس غيرهم بسوء ، لفرض واجب النصيحة على أهل العلم بيان مواطن الفهم الخاطيء والعمل المردود .. وهذا نصر لهم لا عليهم .
- ٢- أما إذا تعدى أثر فقههم دائرتهم ، وفرض على فصائل أخرى أوضاعاً مأساوية لم يتسببوا فيها ، فإن الواجب هنا واجبان : واجب نصيحة المخطيء ، وواجب دفع المفسدة عن المتضررين بتصرفات تيار الانفعال .

- ٣- فإذا تجاوز الأثر المفسد فصائل الحركة الإسلامية ووصل إلى عامة الناس ، فإن الواجب يطالب أصحاب البصائر بنصيحة المخطئين ، ودرء الأذى عن جميع المتضررين .. وفي هذا نجاة الأمة من فتنة إراقة الدماء بغير حق ، ومن تدمير بنائها الاجتماعي والاقتصادي .. وفيه أيضاً تفويت الفرص على الأعداء الراغبين بتحطيم ما لدى العباد والبلاد من مناعة .. والقضاء على مقومات صمود المسلمين وإمكانات هوضهم .

ثم إنَّ هذا المسلك مقرر شرعا .. فالله العليم الخبير أنزل في ظروف المواجهة مع كفار جزيرة العرب آيات تبين للمسلمين مواطن الخطأ وتصوب أعمالهم .. ونجد هذا في بدر وأحد وحنين وغيرها من مشاهد المواجهة والشدة .

أضف إلى ذلك ما نراه لدى أمم الغرب ، فهي تأخذ بمبدأ (النقد) و(المعارضة) في الرخاء .. وفي أيام الشدة .. على السواء ، وترى أن هذا السلوك يهبها قدرة على تصويب المسيرة ، ونفي عوامل الضعف والدمار .. ونرى أن هذه الأمم تتكلم جهاراً نهاراً بما تراه في قياداتها وزعمائها .. غير عابئة بما يقوله الآخرون .. لأن المهم إنقاذ المستقبل من أخطار الحاضر وآثامه .

سألته : وأين مواطن الخطورة في فقه هؤلاء الخواص الذين ترى واجباً شرعياً يلزم بيان فسادها للناس؟!!

فأجاب : يتسم الفقه الأعوج لهؤلاء الذين يرون أنفسهم (خواص الأمة) !! في إنزال نصوص القرآن والسنة في غير مواضعها .. تماماً كما صنع الخوارج من قبل .. حيث جاؤوا إلى آيات نزلت في الكفار فجعلوها في المؤمنين .. وكانت النتيجة (استباحة دماء المسلمين) و(القيام بأعمال تدمر الحاضر ، وربما المستقبل) . وخواص زماننا استباحوا إراقة الدماء وترويع الآمنين .. باسم الجهاد !! . واستحلوا غيبة وشتم كل من خالفهم في الفهم ولم يكن معهم في تصرفاتهم .. تحت عنوان ذكر الفاسق بما فيه ليحذره الناس !! .. واستباحوا .. واستباحوا !!

قلت للرجل الفاضل : لقد ذكرتني بقول رائع جامع للإمام أحمد بن حنبل ، وقد ذكره الإمام ابن القيم في (إعلام الموقعين) وشرحه بكلام نفيس ، وكم أتمنى أن يحفظ تيار التجديد كلام ابن حنبل عن ظهر قلب وبفهم سليم . أما قول ابن حنبل فهو :

(لا ينبغي للرجل أن يُنصب نفسه للفتيا حتى يكون فيه خمسُ خصال :

أولها : أن تكون له نية ، فإن لم يكن له نية لم يكن عليه نور ، ولا على كلامه نور .

والثانية : أن يكون له علم وحلم ووقار وسكينة .

الثالثة : أن يكون قوياً على ما هو فيه وعلى معرفته .

الرابعة : الكفاية ، وإلا مضغه الناس .

الخامسة : معرفة الناس (إعلام الموقعين: ٤/١٩٩) .

قال الرجل الفاضل : حقاً إنه رائع جامع ! .. ويسرني أن أسمع طرفاً من شرح ابن القيم .

قلت له : هذا سهل ميسور .. ونهضت فأحضرت الكتاب .. وقرأت من شرح ابن القيم

قوله :

■ (فأما النية فهي رأس الأمر وعموده وأساسه وأصله الذي عليه يبنى ، فإنها روح العمل وقائده وسائقه ، والعمل تابع لها يبنى عليها ، يصح بصحتها ، ويفسد بفسادها ، وبها يُستجلب التوفيق ، وبعدمها يحصل الخذلان ، وبجسبها تتفاوت الدرجات في الدنيا والآخرة) .

■ (وأما قوله : (أن يكون له علم وحلم ووقار وسكينة) فليس صاحب العلم والفتيا إلى شيء أحوج منه إلى الحلم والسكينة والوقار ؛ فإنها كسوة علمه ، وإذا فقدتها كان علمه كالبدن العاري من اللباس . وقال بعض السلف : ما قُرِنَ شيء إلى شيء أحسن من علم إلى حلم .. فالحلم زينة العلم وبهاؤه وجماله ، ضده الطيش ، والعجلة ، والحدّة ، والتسرع ، وعدم الثبات ؛ فالحلم لا يستغزّه البدوات ، ولا يستخفه الذين لا يعلمون ، ولا يقلقه أهل الطيش والخفة والجهل . بل هو وقور ثابت ذو أناة ، يملك نفسه عند ورود أوائل الأمور عليه ولا تملكه أوائلها ، وملاحظته للعواقب تمنعه من أن تستخفه دواعي الغضب والشهوة .

فبالعلم تنكشف له مواقع الخير والشر ، والصلاح والفساد ، وبالحلم يتمكن من تثبيت نفسه عند الخير فيؤثره ويصبر عليه ، وعند الشر فيصبر عنه . فالعلم يعرفه رشده والحلم يثبتّه عليه) .

ثم يضيف ابن القيم قائلاً : (وإذا شئت أن ترى بصيراً بالخير والشر لا صبر له على هذا ولا عن هذا رأيت ، وإذا شئت أن ترى صابراً على المشاق لا بصيرة له رأيت ، وإذا شئت أن ترى من لا صبر له ولا بصيرة رأيت ، وإذا شئت أن ترى بصيراً صابراً لم تكذب !! ، فإذا رأيت فقد رأيت إمام هدى حقاً فاستمسك بغيره) .

■ (وأما قوله : (أن يكون قوياً على ما هو فيه وعلى معرفته) أي : مستظهِراً مضطلعاً بالعلم متمكناً منه ، غير ضعيف فيه ؛ فإنه إذا كان ضعيفاً ، قليل البضاعة ، غير مضطلع به ، أحجم عن الحق في موضع ينبغي فيه الإقدام ، لقلّة علمه بمواضع الإقدام والإحجام ، فهو يقدم في غير موضعه ، ويحجم في غير موضعه ، ولا بصيرة له بالحق ، ولا قوة له على تنفيذه . فالمفتي محتاج إلى قوة في العلم وقوة في التنفيذ) .

▪ (وأما قوله : (الكفاية وإلا مضغه الناس) فإنه إذا لم يكن له كفاية احتاج إلى الناس ، وإلى الأخذ مما في أيديهم ، فلا يأكل منهم شيئاً إلا أكلوا من لحمه وعرضه أضعافه .. فالعالم إذا مُنح غناءً فقد أُعِين على تنفيذ علمه ، وإذا احتاج إلى الناس فقد مات علمه وهو ينظر) .

▪ (وأما قوله : (معرفة الناس) فهذا أصل عظيم يحتاج إليه المفتي والحاكم ، فإن لم يكن فقيهاً فيه ، فقيهاً في الأمر والنهي ، ثم يطبق أحدهما على الآخر ، وإلا كان ما يفسد أكثر مما يصلح ؛ فإنه إذا لم يكن فقيهاً في الأمر ، له معرفة بالناس ، تصور له الظالم بصورة المظلوم وعكسه ، والمحق بصورة المبطل وعكسه ، وراج عليه المكر والخداع والاحتيال ، وتصور له الزنديق في صورة الصّدِّيق ، والكاذب في صورة الصادق ، ولبس كل مبطل ثوب زور تحتها الإثم والكذب والفجور .

وهو لجهله بالناس وأحوالهم وعوائدهم وعُرفياتهم لا يميز هذا من هذا ، بل ينبغي له أن يكون فقيهاً في معرفة مكر الناس ، وخداعهم ، واحتياهم ، وعوائدهم ، وعرفياتهم ، فإن الفتوى تتغير بتغير الزمان والمكان والعوائد والأحوال ، وذلك كله من دين الله) .

قال الرجل الفاضل : فبالله عليك .. لو نظرنا إلى أرباب الفقه المتأزم في هذا العصر .. ألا نرى ضعفاً في العلم الشرعي .. وضعفاً في معرفة الناس .. وضعفاً في الأخلاق .. وضعفاً في وسائل التمكين .. وجرأة على الإفتاء بقضايا تتعلق بها مصائر شعوب ومستقبل أقطار؟!!

فكيف كيف لا يصح الجهر بتخطئتهم .. والأخذ على أيديهم .. إنقاذاً للأمة ولهم من الشرور والأخطار الرهيبة الكئيبة التي يجلبها الفقه المتأزم العاجز؟! .. ثم ألا يتأكد هذا الواجب إذا كان الطغاة المحليون والدوليون يخططون لتأزيم التيار الانفعالي تمهيداً لتطويق تيار التجديد الإسلامي واحتوائه وضرب مواقعه؟!!



العصبية المنتنة!

نصح أحد الفضلاء لقيفاً من الشباب المسلمين فقال : إياكم ثم إياكم يا أبنائي أن تعملوا للإسلام على غرار الأحزاب في الغرب ..

فسأله سائل : وما الذي تعنيه بكلامك هذا يا أستاذنا الفاضل !؟

فقال : لو دققتم النظر في أخلاقيات وسلوك الأحزاب في الغرب ، لرأيتهم ببساطة أنها تنضح بما يندى له جبين الحق والعدل ، وأذكر لكم الآن أمثلة راجياً ألا تحصرُوا الموضوع في حدودها :

أولاً : العصبية الحزبية : والتي تُلزم بالتكتم على أخطاء الحزب ، ورصد تصرفات الآخرين بقصد تشويه سمعتهم والخط من شأنهم ، والعمل على تعويق وتحطيم مشاريع المخالفين مهما كانت النتائج !! .

ثانياً : الغاية تبرر الوسيلة : والتي تترجم بالسعي إلى توريط الآخرين والنيل منهم ، وبالعامل المتعمد على تضليل الرأي ؛ وذلك بطمس الحقائق أو إظهار جزء منها !! .

ثالثاً : تكوين المحاور داخل الحزب الواحد (الشُّللية) : وتظهر هذه الآفة عندما تتعدد الرؤى داخل الحزب الواحد ، ويسيطر التعصب للرأي . عندئذ تمارس المحاور فيما بينها نفس الأخلاقيات الهدامة التي يتعاملون بها مع الخصوم !! .



وانصرفت سنوات وسنوات على حديث الرجل الفاضل ، تراكم خلالها في رصيد تجربتي بأخلاقيات العاملين في الحقل الإسلامي الشيء الكثير ، ولمست من الواقع ما يبعث على الأسى والحزن ، ويزرع الخوف من المستقبل الدنيوي والأخروي .

لقد أسقطت نصيحة الرجل الفاضل على أخلاقيات التعامل بين فصائل الحركة الإسلامية المعاصرة ، فهالني الدمار الأخلاقي الذي رأيته في هذا المجال . لقد رأيت كثرة من (الدعاة) الذين لهم تأثير في العقول والقلوب ، قد وقعوا في براثن العصبية الحزبية !! . إنهم على سبيل المثال :

▪ إذا رأوا عملاً طيباً يصدر عن مخالفيهم في الرأي ، فإنهم يجزنون ويعملون على طمسه والنيل من نية فاعليه !! .

▪ وإذا وقفوا على خطأ نسي ، أعني : اجتهاداً يخالف اجتهادهم ، فإنهم ينبرون إلى تسفيه إخوانهم والظعن في عقولهم وإخلاصهم ، وغالباً ما يتأولون النصوص الشرعية ، فيوهمون من حولهم أن الآخرين قد خرجوا عن حدود الشرع وهم يعلمون !! .

▪ وإذا صدرت معصية ، أو خطأ في التصرف ، من عضو في جماعة مخالفة في الرأي والاجتهاد ، فإنهم يسرعون إلى اتهام الجماعة كلها بضعف الإيمان وبانحراف التربية وسوء الأخلاق ونحو ذلك !! .

▪ وإذا رأوا مخالفاً لجماعة لا تشاطرهم الاجتهاد ، قد قام يناوئ إخوانهم برميهم بكل نقيصة ، فإنهم يفرحون ويكونون عوناً له على الأذى والعدوان !! .

▪ وإذا سمعوا من يمتدح سلوك وتصرفات أشخاص من جماعة إسلامية ، فإنهم يشعرون بالامتعاض ، ويتحينون الفرص للنيل من الممدوحين ، ويكون هذا -غالباً- تحت شعار (الغيرة) ومتسترًا بالدعاء والمحبة !! .

▪ وإذا اختلف مسلم مع آخر كان التعامل بينهما -في الغالب- قريباً مما ذكرناه آنفاً !! .

▪ وإذا .. !! . ▪ وإذا .. !! .

فليت شعري؟!

كيف يكون صادق الإيمان من يفرح لخطأ أخيه أو لمصيبة تنزل به ، ويجزن ويتألم لصواب مخالفيه في الرأي؟! . ألا يقرأ هؤلاء نصوص أخوة الإيمان ، ومنها قول رسول الله ﷺ الجامع : « لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ » رواه الترمذي؟! . ثم ألا يخاف هؤلاء أن يدخلوا في معنى قول الله عز وجل : ﴿ إِنَّ تَمَسُّكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا .. ﴾ [آل عمران: ١٢٠] .

وكيف يكون تقياً مخلصاً من يرصد أخطاء إخوانه في الدين ، وينقب عن هفواتهم ، وإذا اطلع على عورة سعى بين الناس ناشراً لها بكل وسيلة ممكنة؟! ألا يخاف هؤلاء من تهديد رسول الله ﷺ في قوله الرائع :

« يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يَدْخُلِ الْإِيمَانُ قَلْبَهُ ! لَا تَغْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ ، وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ ؛ فَإِنَّهُ مَنْ تَتَّبَعَ عَوْرَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ ، تَتَّبَعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ ، وَمَنْ تَتَّبَعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ ، يَفْضَحْهُ وَلَوْ فِي جَوْفِ بَيْتِهِ » رواه أحمد وغيره . وعند الترمذي بلفظ : « يَا مَعْشَرَ مَنْ أَسْلَمَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يَدْخُلِ الْإِيمَانُ قَلْبَهُ ! لَا تُؤْذُوا الْمُسْلِمِينَ ، وَلَا تُعَيِّرُوهُمْ ، وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ ، فَإِنَّهُ مَنْ تَتَّبَعَ عَوْرَةَ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ ، يَتَّبِعُ اللَّهُ عَوْرَتَهُ ، وَمَنْ تَتَّبَعَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ وَلَوْ فِي جَوْفِ رَحْلِهِ »



ولو ذهبتُ أعداد صور الممارسات الأخلاقية التي تتعارض وتتناقض مع مقتضيات الإيمان وقواعد الإسلام لطال بنا الكلام ، والذي أرجوه من هذه الإشارات هو : أن يهتم المسلم فرداً بالجانب الأخلاقي عند تعامله مع الناس ، فيعمل على ضبطه بموازين الشرع . وأن تعمل الجماعات على تنشئة أعضائها على أخلاق النبوة الرؤوفة الرحيمة بالمؤمنين .



الحالة الأفغانية!

تحدث أستاذ فاضل عن أزمات تفتك بالجهد الإسلامي ، وتعصف بشمار الحركة المباركة ، وعرج على (المأساة الأفغانية) فذكر ما يفعله (المجاهدون)! بأنفسهم وبلادهم من ويلات ، وركز في كلامه على واجب رجال الدعوة في البحث عن أسباب القتال والدمار بين الفصائل الإسلامية ، وأكد أن العدل والإنصاف يفرضان عليهم سؤالاً كبيراً :

هل الحالة الأفغانية المحزنة حالة معزولة؟! أم هي حالة أمة ! .

وذهب الأستاذ الفاضل إلى أن ما يجري في أفغانستان ليس حالة خاصة ، على الرغم من خصوصياتها ، ففي معظم مواقع العاملين تتحرك أسلحة الدمار !!

تدبرت هذه الإشارة العابرة إلى أزمة تنسف روابط الأخوة في عدد كبير من مواقع العمل الإسلامي ، وتفرض حالة رهيبية مفرقة من الشك والريبة والخوف من التعاون على البر والتقوى ، وهذه الأزمة نلمسها في حياة الأفراد وفي محيط الجماعات !! .

إنَّ أسلحة مثل : (سوء الظن) و(التحسس) و(الغيبة) و(النميمة) و(الحسد) و(الكراهية) و(الاستخفاف بالآخرين) و(العصبية الحزبية) .. إلى آخر قائمة أسلحة الدمار الجزئي والشامل ..

هي المسؤولة عن (الحالة المستنقعية) التي يعيشها كثير من فصائل العمل الإسلامي ، وهي التي تقف وراء الأوبئة التي تغتال كثيراً من مكارم الأخلاق في قلوب العاملين ، وهم في الغالب لا يشعرون !! .

وهذه الحقيقة تقودنا إلى القول :

إننا حين نصل إلى الحكم سنعبّر عن حقيقة حالتنا قبل استلامه ، والذي سيختلف محصوراً في صورة التعبير ووسائله .

■ وهذا يفرض أن نركز على بنائنا الإيماني والتعبدي والأخلاقي في مرحلة الدعوة ، أي ما قبل الدولة ، فإذا لم نطمئن إلى متانة بنياننا ، فإن استلام الحكم ربما يكون كارثة مروعة .

■ إن كثيرين متألون مما يجري بين الفصائل الإسلامية في أفغانستان ، ويظنون أنهم أحسن حالاً من المتصارعين بالسلح المادي ، ولو تدبر هؤلاء حقيقة أوضاعهم لوجدوا أنهم لا يختلفون عن إخوانهم في أفغانستان إلا في الوسائل !!

(فهل من مدكر)



الحلم سيد الأخلاق

بم سعيد وجهه شطر المدينة الصاخبة رغبة في متابعة دراسته الجامعية ، ولعله يحظى بعمل يسد حاجته ويخفف آلام أسرته الفقيرة القابعة في القرية النائية . في المدينة قُدر للوافد الطموح أن يكون طالباً في معهد للغات ، أقامته جامعة إسلامية عريقة ، تهبُّ من يتخرج من معاهدها أو كلياتها اعتزازاً كبيراً بفضل الانتساب إليها وحمل شهادتها . وفي حيِّ شعبي توثقت صلة سعيد بإمام مسجد آتاه الله عزَّ وجلَّ بسطة في البيان والصوت الجمهوري ، فحفظ عن ظهر قلب كثيراً من خطبه وآرائه .

أنهى سعيد دراسته في معهد اللغة بتفوق أهله للحصول على منحة دراسية في ، تتيح له

البقاء في أوروبا بضع سنين ، يرسّخ خلالها معرفته بلغة البلد المضيف . وشعر سعيد منذ وطئت قدمه أرض الغربة أنه غريب الروح والبدن ، وأن سلوكه وثقافته في خطر ، وأن عليه أن يأوي إلى حصن يعصمه من سهام القاتلة . واهتدى الحائر بعد لأيٍ إلى مكان متواضع اتخذه لفيف من المسلمين مسجداً ، وتوطدت صلته بـ (عبد الله) مدير الجمعية .

وراع سعيداً أن يرى في مصلى الجمعية أطفالاً يلعبون ، وترتفع أصواتهم أحياناً ويكثر ضجيجهم ، وربما حدث هذا وناس يصلون أو يتدارسون الحلال والحرام أو يتلون القرآن ، فيزيد هذا الصنيع سعيداً اشتعالاً . وحاول الوافد الجديد كتم انفعالاته ، ولكنه لم يستطع الصمود طويلاً أمام شعوره بواجب إنكار المنكر . وفي لقاء علمي جامع صاح سعيد بصوته الجمهوري مخاطباً عبد الله : أنت يا عبد الله مسؤول أمام الله عزّ وجلّ عن هذا المنكر الذي يُفعل هنا ، ويفسد على الناس عبادتهم وأنت ساكت!! وما أظنك تجهل الحديث الشريف : (جنبوا مساجدنا صبيانكم ومجانينكم ...) !!

أطرق عبد الله هنيهة اضطرعت خلالها في نفسه مواقف متعددة : بمّ يجيب سعيداً؟!
■ أيقول له : جزاك الله خيراً .. سنطرد الأطفال من المصلى -الساحة الوحيدة الموجودة في الجمعية- وهو يعلم أن دليل سعيد غير صحيح ، وأن هذا الإجراء ، في بلد أوروبي ، له تأثيرات تربوية خطيرة على ثقافة الأطفال؟!!

■ أم يقول له : أنت مخطئ يا سعيد! ، وعليك أن تتعلم قبل أن تتكلم؟! وهذا الكلام قد يوغر الصدر ويثير الفتنة ، فعهد التعرف إلى سعيد ليس بعيداً .
■ أم يصبر عليه حتى يتعرف إلى الظروف ويقدر التصرفات ؟

وخشي عبد الله أن يسبقه أحد الحاضرين بجواب يفجّر العلاقة مع سعيد ، فبادر إلى الكلام فقال : إني أكبر غيرتك على تعاليم الإسلام يا سعيد ، وأرى أن دخول الأطفال إلى المسجد يجب أن يُدرس في ضوء جميع النصوص الواردة في هذه المسألة ، وفي إطار الإدراك الواعي لمقاصد الشريعة في معالجة مسائلنا الاجتماعية وغيرها في هذا العصر ، وأرجو أن تتاح لنا فرصة نكون فيها قادرين على دراسة هذا الموضوع ، وعسى أن يكون ذلك قريباً .

أمسك سعيد عن الكلام وفي قلبه أن عبد الله لا يريد أن يتخذ إجراءات تغضب آباء الأطفال ، وأن كلامه الجميل يحمل في ثناياه إثارة مرضاة الناس على رضا الله عزّ وجلّ!!

ومرت الأيام .. سعيدٌ يكرر اعتراضه ، وفي الجمع من يرغب في بيان عدم صحة دليل سعيد ، وعبد الله يصبره ويصبرهم ، ويبحث عن طريقة توصله إلى قلب سعيد ، فيوضح له المسألة بأسلوب لا يجرح شعوره بالتفوق العلمي الذي ورثه من الجامعة .

ويشاء الله عزَّ وجلَّ أن يزور المدينةَ رجل قدمه راسخةً في علم الحديث ، وفي أمسية علمية أنكر سعيد ما يصنعه الأطفال وأغلظ في القول ، فبادر عبد الله إليه وأخذ بيده وقال له : تعال يا أخي نجلس إلى ضيفنا الشيخ ونبحث معه موضوع الأطفال! . فاستجاب سعيد وذهبا إلى الشيخ .

سأل عبد الله الشيخ : هل لديكم علم بحديث : (جنبوا مساجدنا صبيانكم ومجانينكم) ؟

أجاب الشيخ : هذا الحديث لا تصح نسبته إلى النبي ﷺ فهو لا يتجاوز درجة (الضعيف) ! وقد ذكره الألباني في (ضعيف الجامع الصغير) ورقمه ٢٦٣٥ .

شُدّه سعيدٌ من الجواب ، وأخذته الحياء من كل مكان ، وتمتم قائلاً : وا أسفاه!! كم جالدت من أجل إخراج الأطفال من المساجد اعتقاداً مني بصحة هذا الحديث ، الذي سمعته من رجال يُظنُّ بهم العلم بالسنة؟! . اللهم اغفر لي! .

وجد عبد الله الأبواب إلى قلب سعيد مفتحة ، فقال : لا تثريب عليك يا أُخيِّ ، فالله يعفو عن كثير . ثم توجه بالكلام إلى الشيخ سائلاً : وما صحة حديث بريدة « خَطَبْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَقْبَلَ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَلَيْهِمَا قَمِيصَانِ أَحْمَرَانِ ، يَعُثْرَانِ وَيَقُومَانِ ، فَنَزَلَ فَأَخَذَهُمَا ، فَصَعَدَ بِهِمَا الْمَنْبَرِ ، ثُمَّ قَالَ : صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ... ﴾ [التغابن: ١٥] رَأَيْتُ هَذَيْنِ فَلَمْ أَصْبِرْ . ثُمَّ أَخَذَ فِي الْخُطْبَةِ ؟ .

قال الشيخ : هذا حديث صحيح رواه أصحاب السنن ، وهذا لفظ أبي داود . ويشهد لمعناه -دخول الصبيان المساجد- ما رواه البخاري ومسلم من قول النبي ﷺ : « إِنِّي لَأَدْخُلُ فِي الصَّلَاةِ وَأَنَا أُرِيدُ إِطَالَتَهَا ، فَأَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ فَاتَّجَوَّزُ فِي صَلَاتِي ، مِمَّا أَعْلَمُ مِنْ شِدَّةِ وَجْدِ أُمَّهِ مِنْ بُكَائِهِ » . فلم ينه رسول الله ﷺ النساء عن إحضار أبنائهنَّ معهنَّ إلى المسجد ، على الرغم من إزعاج الرضيع بالبكاء .

وأدرك سعيد خطورة عدم التثبت من صحة الحديث عن رسول الله ﷺ وتوجه إلى عبد الله قائلاً : إني لأشكرك من أعماق قلبي يا عبد الله على صبرك الجميل ، والله عليّ ألا أقوم مقاماً

أنسب فيه إلى رسول الله ﷺ حديثاً لست متأكداً من صحته ، أو أشدد النكير على من خالفني في العلم أو إدراك مرامي النصوص ومقاصد الشريعة ، في التصرفات التي تحتاج إلى أعمال القواعد المستمدة من الوحي .

قال عبد الله : ولا يخفى عليك يا سعيد أن حضور الأطفال إلى المؤسسة الإسلامية في بلاد الغربية يحمل في طياته فوائد تربوية ، إذ يربطهم بالإسلام والمسلمين في بيئة تفكك هذا الارتباط . فوجود الأطفال بيننا يحرك فينا الشعور بالمسؤولية تجاههم . وأنا معك في ضرورة العمل على توفير أماكن تشبع رغبتهم في اللعب ضمن إطار المسجد ، ويوم تتمكن من إيجاد الغرف والأدوات المناسبة سنوجه الأطفال إلى ضرورة الهدوء في المصلى أكثر مما نفع الآن . والحق يا أخي أن النهوض بالواجبات ، التي تزداد مع الزمن ، لن يتم إلا بتضافر الجهود البصيرة ، ونحن في أمس الحاجة إلى جهتك وعلمك في عملنا .

قال سعيد : اعتبرني جندياً صغيراً ، ومُرني بما شئت من الخير ، وإني لأرجو أن أكفر بعمل صالح ما سلف مني في حق الأطفال .

مكث سعيد برهة في المسجد ، ثم نهض فحياً إخوانه وانصرف ، أما الحاضرون فقد شيعته عيونهم بإعجاب وإكبار . نظر عبد الله إلى إخوانه في هذه اللحظة الرائعة ، وقال :

نحن يا إخواني نعيش في زمان اختلطت فيه المصادر الشرعية بآراء البشر ، وعمّ الجهل بالنصوص وفقهها ، وسيطر التعصب للآراء على مشاعر وعلاقات معظم المسلمين ، وانتشرت الأحاديث المكذوبة في الكتب والخطب والدروس .. إلخ .

أمام هذا الواقع الأليم .. نحن بأمس الحاجة إلى الصبر الجميل .. الصبر الذي يفهم الناس ويقدر إخلاصهم وظروفهم ، ويبحث بهدوء عن سبل تقوم على الحكمة من أجل تغيير هذا الواقع المؤسف . وهذا يا إخواني يقتضي العضّ بالنواجذ على قاعدة (إيثار كسب القلوب على كسب المواقف) في غير إثم .

شكر الحاضرون عبد الله ، وانفضّ المجلس وفي القلوب لذة الحكمة في التصرف والموعظة الحسنة .



العدل أساس العمران

تحدث أحد الفضلاء يوماً فقال : زارني أمس شاب عقب صلاة الجمعة فقال والغضب يتفجر من عينيه : أرأيت إلى خطيب الجمعة؟! .. لقد عرض بي في خطبته ، وما لهذا شرعت الخطب ، وإذا كان يريد النصيحة فهذا ليس سبيلها!! .

قلت للشاب : هوّن عليك ، واسمح لي أن أسألك : هل أنت مقترف للمخالفات الشرعية التي ذكرها الخطيب؟!

قال : نعم ، ولكن نيته ليست خالصة لله .. وخطبته كلمة حق أراد بها باطلا!! .

قلت له : تمهل يا بني ولا تعجل ، فأنت مسؤول أمام الله عزّ وجلّ عن كل كلمة تتفوه بها ، وراع أن يكون غضبك لله عزّ وجلّ ، واحذر وساوس الشيطان . وأنصحك بالنظر إلى الخطبة من حيث مضمونها وأسلوبها ، فإن كانا مقبولين شرعا .. فلا اعتراض .. وإن وقع خلل شرعي فقد وجب التصحيح بأسلوب يرضاه الله تعالى . فسكت الشاب على استحياء .

ومضت الأيام .. وفي مساء يوم جمعة زارني الشاب نفسه وقال منتشياً : لقد أحسن خطيبنا اليوم .. فقد أصاب من فلان وجماعته مقتلاً .. إنه شجاع وعنده وعي كبير !

قلت للشاب : إن الإسلام يعلمنا أن نزين أعمالنا وتصرفات من يخالفنا في رأي ونحوه بميزان الشرع .. ويأمرنا بالعدل حتى مع المخالفين في الدين .. ولعلك تذكر غضبتك المضرية يوم تحدث الخطيب نفسه عن أمور شرعية كنت واقعاً فيها؟! .. بينما أراك اليوم فرحاً مسروراً بخطبة مثلها .. ولكنها تناولت تصرفات غيرك!! فما رأيك في ذلك يا بني؟!



تأملت قصة الرجل الفاضل فوجدت أن حقيقتها تتكرر وإن اختلفت الصور ، وازدحمت في ذاكرتي قصص شهدتها أو سمعتها تؤكد جميعها على اختلال ميزان العدل والإنصاف في قلوب عامة أبناء الحركة الإسلامية .. فضلاً عن عموم المسلمين!! وتساءلت : هل هناك ظلم أشد من اتهام الناصحين ورد كلامهم .. إذا كانت النصيحة موجهة إليّ أو إلى جماعتي التي أنتسب إليها .. مع الاعتراف بأنهم يقولون الحقيقة؟! وهل يوجد عدوان أكبر من التهليل لكل ما يمس إخوة

آخرين .. وقبول ما يقال فيهم قبل التثبت من صحة ما ينسب إليهم ؟

إن الأمر جد خطير .. لأنه يتعلق بـ (الإيمان) و(التقوى) وأسوق في هذا المقام آية وحديثاً نبوياً فيهما ذكرى لمن كان له قلب يعظم أوامر الله تعالى ويؤثر الآخرة على الأولى :

١- يقول الله عزَّ وجلَّ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [المائدة: ٨]

٢- ويقول رسول الله ﷺ : « أَوْثَقُ عُرَى الْإِيمَانِ الْمُوَالَاةُ فِي اللَّهِ ، وَالْمُعَادَاةُ فِي اللَّهِ ، وَالْحُبُّ فِي اللَّهِ ، وَالْبُغْضُ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ » [رواه الطبراني وغيره بإسناد حسن]

فيا رجال الدعوة الإسلامية :

ربوا على الإنصاف فتیان الحمى تجدوهم كهف الحقوق كهولا
فهو الذي يبني الطباع قويمَةً وهو الذي يبني النفوس عُدولا
ويقيم منطق كلِّ أعوج منطقٍ ويريه رأياً في الأمور أصيلا

وإياكم ثم إياكم أن تكونوا ممن حذر منهم أحمد شوقي :

وإذا المعلم لم يكن عدلاً مشى روحُ العدالة في الشباب ضئيلا
وإذا المعلم ساء لَحْظَ بصيرةٍ جاءت على يده البصائر حُولا
وإذا أتى الإرشادُ من سبب الهوى ومن الغرور فسَمَّه التضليلا



احذروا التحوير من الباطن

قال أحد الفضلاء : لقد شد انتباهي في السنوات الأخيرة إعجابُ عدد من المثقفين الإسلاميين بالكتابات النقدية ، وبخاصة تلك الداعية إلى إعادة النظر في العقود المنصرمة ، من حيث خيارات الحركة الإسلامية في التعامل مع الفكر الغربي وتجلياته السياسية والاقتصادية والاجتماعية . فلما وسَّعتُ النظر وجدت أن إعجاب معظمهم يرجع إلى أمرين :

الأول : ضعف المعرفة الإسلامية ؛ فالمواضيع ليست جديدة ، وبخاصة تلك التي تتكلم عن أصول الفهم (علم الدراية) والجديد هو الصياغة المرحلية والأمثلة المضروبة .

والثاني : قلة الاطلاع على تطورات الفكر الإسلامي المعاصر (تنظيراً وممارسة) . وقلة بضاعتهم بمعرفة رجال الفكر الذين أسهموا في تجديد قواعد الفهم ، وأظهروا حقائق عاصمات من قواصم مهلكات .

قال قائل : لقد أوجزتَ في الإشارة ، وكادت تنبهم العبارة ، فتكرم علينا بشرح يظهر قصدك ، ويحقق رغبتك ! .

قال الرجل الفاضل : حباً وكرامة ! .. من المعلوم أن الحركة الإسلامية المعاصرة -بصرف النظر عن مجالات الاهتمام داخلها- قد أخذت على نفسها النهوض بواجبين أساسيين :

- ١- تجديد منهج فهم الإسلام ، وإحياء العمل بما شرع الله عزَّ وجلَّ .
- ٢- مواجهة الفكرة الغربية في جانبها النهبي الاستغلالي ، وفي جانبها الثقافي المفسد للفطرة .

وأن رواد حركة التجديد قد بينوا أن الفكرة الغربية (دينٌ) لأنها نظام حياة ، وما من نظام إلا ويقوم على تصور اعتقادي ، يتناول الإنسان وغاية وجوده ، وكيفية تحقيق هذه الغاية . ووضحوا بجلاء أن الاختلاف في التصور هو أساس الخلاف بين الأديان . وأن مصطلح (الدين) ليس حكراً على ما يسمى بـ (الأديان السماوية) .

ولم ينس الرواد أن الغربيين في (عصر النهضة) ينطلقون في مواقفهم وتصرفاتهم تجاه المسلمين من مبادئهم الفكرية ، وذاكرتهم التاريخية ، ومصالحهم .

فعندما يأتي من يقول بأنه يطرح منهجاً جديداً لفهم سبب الخلاف بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية ، ويصل إلى أن تباين (مرجعية القيم) أي (العقيدة) هي السبب الرئيس في الاختلاف ، فإننا لا نجد جديداً فيما قال ، وقد يكون هذا القول جديداً على من لم يطلع على عطاء المفكرين الإسلاميين . وأنا لا أعترض على توعية المسلمين بضرب الأمثلة التي تناسب المرحلة والمكان ، ولكنني أخشى أن تسفر ظاهرة (الادعاء) عن أمرين :

الأول : أن يتسرب غرور السبق إلى بعض كتابنا ، وعامتهم من الشبان ، فيدفعهم هذا إلى لون من الاستخفاف بجهد من سبق .

الثاني : أن يتسرب إلى تيار التجديد الاغترار بكتابات مكرورة المعاني ليس فيها جديد ، فيكون ذلك سبباً في الإعراض عن عطاء الرواد السابقين ، وفي الوقت الذي لا تزيد الكتابات الجديدة الناقدة قوة في الفكر وطرائق الفهم .

وأضرب مثلاً آخر بأصول الفقه ، فالحركة الإسلامية حركت هذا العلم ، ونشرته بين الناس بطرق متعددة ، على الرغم من أنها لم تستخدم كثيراً مصطلحاته التي استخدمها علماء الأصول . فعندما يأتي من يدعو إلى تجديد أصول الفقه ، ويقول بوجود إضافة مسائل ، مثل (الحريات) و (حقوق الإنسان) ، إلى مقاصد الشرع ، فإنه يحدث بلبلة لاعتقاده أنه أتى بجديد مفيد ، ويدخل في عراك لفظي مع من ينكر إمكانية التجديد في قواعد أصول الفقه ، وقد يسفر العراك عن اتهامات خطيرة وقطيعة منكرة !! .

ولو وسع القائلون بالتجديد النظر لوجدوا أن ما يدعون إليه يدخل في مقاصد الشرع المتعلقة بحفظ النفس ، والعقل ، والدين ، وإن كان السابقون-لاعتبارات زمانهم- لم يذكروا في الأمثلة ما نراه ضرورياً ؛ بسبب ظروف القهر والاستبداد ، وما ينتج عنهما من آفات تهلك الأمم . والحق أن الحركة الإسلامية المعاصرة قد أنزلت مسائل ، مثل (الحريات) ، منزلة الضرورات عملياً ، ودفعت ثمن هذا الاختيار جهوداً كبيرة وتضحيات جسيمة ، حتى بات تيار الصحوة القوة المعارضة لأنظمة الحكم الاستبدادية .. ملكية وجمهورية ، ولا يطعن في هذا وجود فئة تعيش معركة الألفاظ والمصطلحات ، أو تحدد اهتمامها في ساحة من ساحات الحياة ، بينما لا تختلف رؤيتها للواقع عن الذي ذكرناه آنفاً .

قال أحد الحاضرين : ألا ترى أن الكتابات الناقدة قد تناولت عجز الحركة الإسلامية عن

توفير شروط (الصواب) أي (علم الدراية) في التعامل مع الواقع السياسي والفكري والاجتماعي؟.

قال الرجل الفاضل : إن الحوار الداخلي حول منهج الفهم ، ومنه : حُسْنُ الاستشهاد

بالنصوص ، أي في تنزيلها على الواقع ، واجب تفرضه طبيعة الحياة الحية ، وهو باب من أبواب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتناصح . وقد أردت بكلامي السابق التنبيه إلى ظاهرة تكرر الجهود تحت عنوان التجديد ، وكم أتمنى أن يكثر المفكرون المبدعون الذين يأتون بإضافات جديدة ، تزيدنا بصيرة بالواقع ، وبالقوى المحلية والعالمية ، وبطرائق التعامل الأصوب مع المتغيرات .



تأملت في مضمون الحوار السابق فوجدت أن الكثرة الكاثرة من أبناء التيار الإسلامي يعتمدون في تحصيل المعلومات على ما يسمعون في لقاءاتهم الخاصة -ولا يخفى أن كثيراً من معلوماتها مكرورة!- أو على قراءة مواضيع في صحف أو مجلات ، والذين سبقوا غيرهم اطلعوا على عدد من الكتب أيام الاندفاع الأولى ، ثم توقف معظمهم عن القراءة الجادة ونأى عن مصادر المعلومات . ونتج عن هذا ضعف في الابتكار ، وضعف في الاستفادة من آراء المصلحين ، ووهن شديد في التمييز بين المجدد والمقلد .

وتأملت في الكتابات النقدية فرأيتها تصب في دائرتين :

١- دائرة نقد منهج فهم الوحي والتراث .

٢- دائرة نقد منهج الرد على الفكرة الغربية ، بما في ذلك التيارات والحكومات التي تبنت العلمانية في بلاد المسلمين . وهنا يحتاج الأمر إلى وقفة متأنية ، تميز بين طريقة التعامل المرفوضة بضوابط الشرع ، وبين تراكمات المهجمة الماكرة ، محلياً وعالمياً ، والهادفة إلى توليد (فكر معتدل) وفي الحقيقة (فكر انهزامي) يشل حركة التجديد تحت عنوان الوعي والعقلانية . ولا شك في أن الذين تتراكم لديهم مفاهيم الهزيمة لا يشعرون بذلك ، بل يرون أنفسهم مجددين منقذين !! . وقد عرفت أمتنا فتناً سياسية وثقافية ترسب من خلالها في الفكر والسلوك معانٍ ظن أصحابها أنهم على أساس مكين من المعرفة ، فأحدثوا شروخاً رهيبية كريهة ، وأشير هنا إلى (علم الكلام) وآثاره الاعتقادية والعقلية !! .

إن أحشى ما نخشاه هو أن يحصل تحوير داخلي يعجز المثقفون الإسلاميون عن كشفه ،
فيأخذونه من باب التجديد والوعي ، وتكون نتيجه قيوداً وعبودية للغزاة ، وهم يظنون أنهم
يحسنون صنعا .



المسلمون وأخلاق القوة

ذكر لي أخ كريم أن الإمام مسلم قد روى في (كتاب الفتن وأشراط الساعة) من صحيحه
حديثاً يثير الاهتمام ، ويدعونا إلى التأمل . ثم نهض إلى مكتبي وتناول صحيح مسلم وقرأ عليّ :
« قَالَ الْمُسْتَوْرِدُ الْقُرَشِيُّ عِنْدَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ : تَقُومُ
السَّاعَةُ وَالرُّومُ أَكْثَرُ النَّاسِ .

فَقَالَ لَهُ عَمْرُو : أَبْصِرْ مَا تَقُولُ !! .

قَالَ أَقُولُ مَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ! .

قَالَ لَئِنْ قُلْتَ ذَلِكَ ، إِنَّ فِيهِمْ لَخِصَالًا أَرْبَعًا : إِنَّهُمْ لَأَحْلَمُ النَّاسِ عِنْدَ فِتْنَةٍ ، وَأَسْرَعُهُمْ
إِفَاقَةً بَعْدَ مُصِيبَةٍ ، وَأَوْشَكُهُمْ كَرَّةً بَعْدَ فَرَّةٍ ، وَخَيْرُهُمْ لِمَسْكِينٍ وَيَتِيمٍ وَضَعِيفٍ . وَخَامِسَةٌ
حَسَنَةٌ جَمِيلَةٌ : وَأَمْنَعُهُمْ مِنْ ظُلْمِ الْمُلُوكِ » .

ولقد تأملت في موقف عمرو بن العاص ﷺ ، بعد ما تأكد من صحة نبوءة الرسول ﷺ ،
لقد رجع إلى خبرته بالشعوب والقبائل ، فتذكر من صفات الروم ما أزال استغرابه ، وذكر من
شمالهم ما يؤهلهم للكثرة والظهور . إنهم :

١- أحلم الناس عند فتنة .. فلا تستفزهم التحديات فتدفعهم إلى تصرفات طائشة
متسرفة مهلكة ، بل يتماسكون أمام عوامل الإثارة والتوريط ، ويتفكرون عواقب الأمور . وهذا
لا يمنع أن تمر بهم حالات ضعف أممي تفسد نظرهم وتبلبل تصرفاتهم ، ولكنهم يعودون إلى
التماسك وإحياء هذا الخلق (الحلم) الذي يُعد بحق أمير أخلاق القوة .

فليت شعري ! ما أعظم حاجتنا إلى تعميم خلق الحلم والأناة في حياتنا أفراداً وجماعات ،
وبخاصة الذين يحملون مسؤولية قيادية في عمل جماعي طلباً لرضوان الله عزَّ وجلَّ !! روى مسلم
عن ابن عباس رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لِلأَشَجِّ أَشَجُّ عَبْدِ الْقَيْسِ : « إِنَّ فِيكَ
خَصْلَتَيْنِ يُجِبُهُمَا اللَّهُ : الْحِلْمُ وَالْأَنَاءُ »

وقد كان رسول الله ﷺ يحض على (التحلُّم) وهو : حمل النفس على الحلم مرة بعد مرة
حتى يصير سحبة راسخة في النفس ، فيقول : « إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالْتَعَلُّمِ ، وَإِنَّمَا الْحِلْمُ بِالْتَحَلُّمِ .. »
الحديث .

ويؤلني أن معظم الدعاة يحصرون مفهوم الحلم بالعلاقات الفردية ، ويغفلون تطبيقاته
الجماعية السياسية والاجتماعية . ولا أكشف سراً إذا قلت : إن قابلية التأزم عند التيار الإسلامي
ما تزال عالية ، وهذا الذي يجعله فريسة يسهل الإيقاع بها من خلال تعريضه للفتن السياسية !! .



٢- وأسرعهم إفاقة بعد مصيبة .. فالمصائب الزلزلة حين تهجم عليهم وتفاجئهم قد
تفقدتهم توازنهم ، ولكنهم يثوبون إلى التماسك والتجلُّد من قريب .. محاولين تجاوز كوارث
الماضي .. ناظرين إلى مستقبل يشع بالأمل .

إن الجزع حين يسري في حياة الشعوب والجماعات ينعكس استسلاماً في قياداتها ومراكز
قرارها الجماعي .. أما إذا انتشر الصبر - بمفهومه الشرعي - فإنه يظهر انتصاراً في القيادة والقرارات
الجماعية .. هذه المعاني مقرررة بنصوص القرآن والسنة ، نذكر منها هنا قوله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَبَشِّرِ
الصَّابِرِينَ ﴿ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾ ﴿ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ
مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٧] .

إننا في أمس الحاجة إلى مشعل الأمل (الصبر) لنستضيء به في الخروج من ظلمات أزماتنا
وكوارثنا الفردية والجماعية .



٣- وأوشكهم كربة بعد فرة .. فهم لا يستسلمون للهزيمة إذا حلت بهم ، ولا يتعاطون
من إفرازاتها المخزية ، بل يعمدون إلى جمع قواهم ، ومعالجة أسباب الفرار ، ومعاودة التصدي
للخطر الداهم والعدو الجاثم . وهذه المعاني مقرررة في نصوص كثيرة ، منها على سبيل المثال قول

الله تعالى في إعقاب غزوة أحد : ﴿ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [آل عمران: ١٧٢] . وقوله عز وجل : ﴿ إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ... ﴾ [آل عمران: ١٤٠] .

إن شيوع نفسية (الكرّة بعد الفرّة) عامل من أقوى عوامل قوة الأمم ونهضتها .. ولذلك يصير أعداء أمتنا اليوم على استمرار الأمة للفرّة وينفرونها من الكرّة ، تحت عناوين وشعارات متعددة يأتي في مقدمتها (السلام) و (التطبيع) .



٤- وخيرهم لمسكين ویتیم وضعیف .. فهم يواسون فقراءهم ، ويعطفون على أيتامهم ، ويتداعون إلى مساعدة ضعفائهم .. إنهم لا يرون مواطن الخلل الاجتماعي ويعضون الطرف عنه ، ففي قلوبهم رحمة ، وفي أيديهم عطاء بسخاء

أليست هذه المعاني مقررّة في القرآن والسنة؟! بلى والذي بعث محمداً بالحق بشيراً ونذيراً .
ويكفي أن نذكر هنا آية جامعة هي قول الله تعالى :

﴿ لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٧] .

ولا يغيب عني أن ناساً من الروم المعاصرين ، قد استغلوا جانب العطف والتعاطف مع المحتاجين ؛ فأقاموا مؤسسات جمعت مالا ، وطعاماً ، وكساءً ، وسخروا ذلك كله في تحقيق مآرب سياسية ودينية !! وهذا لا يمنع من الإشارة إلى درسين نحتاج إليهما في هذا الميدان :

١- حاجتنا نحن المسلمين إلى إحياء معاني الاهتمام الجاد بالضعفاء والفقراء والمحتاجين .

٢- ضرورة إيجاد صيغ جماعية مناسبة .. تحقق أهداف التعاطف مع المسكين واليتيم والضعيف .



٥- وأمنهم من ظلم الملوك .. وقد قال عمرو رضي الله عنه عن هذه الخصلة بأنها (حسنة جميلة) .. فالشعوب التي تنفر من ظلم الحكام ، وتضطربهم إلى التخلي عن الظلم ، لا ريب في أنها تشعر بوجودها ، وهذا يدفعها إلى عمل إيجابي يؤهلها للنهوض بواجبات البناء ومواجهة التحديات .

إن الأمن السياسي من أهم أسباب نهوض الأمم .. فإذا توفر في أمة أمنٌ سياسي ، وأمن اقتصادي ، وأمن صحي ، فقد حازت على أسباب الاستقرار والنمو والقوة .. وما أروع وأعمق قول الصادق المصدوق عليه السلام : « مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرِّهِ ، مُعَافَى فِي جَسَدِهِ ، عِنْدَهُ قُوَّةٌ يَوْمِهِ ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا بِحَدَافِيرِهَا »

وبعد ، فهذه خواطر هجمت عليّ وأنا أتأمل كلام عمرو بن العاص في عدد من أخلاق القوة التي كانت -وما تزال- تتحرك في الروم ، ونحن معشر المسلمين أولى الناس بالعمل بجميع الأخلاق الإسلامية الفاضلة ، وقد آن الأوان لإعطاء أخلاق القوة والعزة والتمكين ما تستحقه من الاهتمام تعليمياً وتربوياً .. فالأخلاق الفردية حسنة ، ولكن لا يصح تهميش أخلاق القوة الجماعية ، وعلى العاملين واجب آخر هو الإبداع في طرح صور جماعية للتعبير عن هذه الأخلاق حتى تؤتي أكلها .



النقد مطلوب وأساسه المعرفة

ترتفع أصوات في ساحة العمل الإسلامي داعية إلى ضرورة إعادة النظر في خيارات الحركات الإسلامية وطروحاتها ، ووسائل عملها ، في ظل المتغيرات الدولية التي أعقبت اختفاء القطب الاشتراكي ، وانفراد الرأسماليين بطرح أفكارهم وتزيينها ، بل فرضها !! .

ويذهب بعض دعاة المراجعة إلى القول بأن المرحلة السابقة قد اتسمت بالطرح السياسي للفكرة الإسلامية ، وهذا الطرح استفز قوى محلية وعالمية فرضت على حركة التجديد تحديات ومواجهات ، ودفعت المناوئين للحركة الإسلامية إلى حالة من التحالف ، في

محاولة للقضاء على تيار التجديد الإسلامي ، ونتج عن الصراع مع النظام السياسي اضطرابات فكرية عصفت بفصائل داخل صف الإسلاميين ، وهذه الاضطرابات أسلمت أصحابها إلى تصرفات غير منضبطة .. استغلها أعداء الفكرة الإسلامية في حرب التشويه بجدارة !

ويضيف هؤلاء : إن العالم اليوم في أمس الحاجة إلى (الطرح الحضاري للفكرة الإسلامية) ويفضل بعضهم شعار (البديل الحضاري الإسلامي) . وبدهي أنه لا يمكن النهوض بهذا الواجب إلا إذا غربلت الحركات الإسلامية في ضوء المتغيرات الدولية إنجازاتها وعرفت أخطاءها ، من أجل اكتشاف خيارات المستقبل ، وتحديد وسائل العمل المناسبة .

ويدفعنا الحديث في هذه المعاني إلى بيان مجموعة مسائل نراها ضرورية في معرفة : هل هذا الطرح (الحضاري) جديد في مضمونه .. أم في ألفاظه ؟ وما النتائج التي قد يوصل إليها ؟ :

المسألة الأولى : إن فكرة إعادة النظر فيما نختاره ونصنعه .. أفراداً وجماعات .. مسألة تربوية ، فالإسلام يربي المسلم على لزوم التوبة ، ففي الحديث : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ تُوبُوا إِلَى اللَّهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ ، فَإِنِّي أَنُوبُ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ » رواه مسلم . والتوبة عبارة عن نقد ذاتي ، وينبغي ألا يتوقف مدى الحياة ، لأن أعمالنا - ومنها خياراتنا السياسية والاجتماعية - قد يطرأ عليها خطأ أو هوى ، أو تصبح غير صائبة في ظل المتغيرات .. وتحتاج إلى تغيير أو تعديل . لذلك نؤكد دوماً على هذا المعنى الشرعي ، ونطالب بتوفير أعلى درجات إدراك المتغيرات وإبداع الوسائل .

المسألة الثانية : إن نقد الماضي والحاضر يعني : الحرص على إحسان العمل في المستقبل . واستشراف المستقبل موهبة تصقلها الخبرة والمعرفة ، وهو نوع من الاجتهاد الذي يجوز عليه الخطأ والصواب . والأولى في زماننا أن يكون عمل فريق ، أو ما يعبر عنه بـ (اللجان المختصة) وهذا يجنب الجماعات كثيراً من أخطاء الاجتهاد الفردي .

المسألة الثالثة : إن هناك فرقاً بين (المفكر) وبين (الداعية) أو (المبلغ) أو بين (المؤسسة الفكرية) وبين (المؤسسة الدعوية الثقافية) . وهذا الفرق هو أن (المفكر) يقابل (المجتهد) ؛ أي : هو الذي يصنع (الفكرة) التي يحتاج إليها المسلمون في زمانه ، ويشمل ذلك المواقف من كل قضية ، وطرائق العمل ، والبرامج .. ويدعو المسلمين إلى الأخذ بها .. أما الداعية المبلغ فيأخذ النتائج التي توصل إليها المفكر ، ويهتدي بها في عمله . وبعبارة أخرى : (المفكر منتج والداعية مستهلك) . وقد تجتمع موهبة الاجتهاد بالقدرة على التبليغ في آحاد الرجال والنساء . ولكنهما في الأعم

الغالب تفترقان ، لأن القادرين على صناعة الأفكار في الجماعات البشرية قلة محدودة العدد . وهذا الفارق يظهر بوضوح أكبر بين (المؤسسة الفكرية) أو (الجماعة الفكرية) وبين (المؤسسة الدعوية) أو (الجماعة الدعوية) .

وهذا الفرق تجب ملاحظته في الخطاب مع الجماعة الفكرية أو المفكر ، ومع جماعة الدعوة أو الداعية .. حتى لا تختلط الأمور .



بناء على ما أسلفت من توضيحات أقول :

إن الحركة الإسلامية المعاصرة تتحرك منذ بداياتها في دائرتين :

١- **دائرة بعث الذات** : فسعت إلى تجديد ما اندرس من مفاهيم الإسلام ومبادئه وقواعده ومنطلقاته ، والعمل بمقتضيات الوحي في الواقع البشري . وقد حركت أشياء كثيرة وأعادتها إلى أصلها فهماً وتطبيقاً .. وما يزال أمامها عمل كثير ..

٢- **دائرة التصدي للهجمات** : فعملت على بيان الموقف من الفكرة الغربية وتجلياتها ، وأماطت اللثام عن حقيقة أن للغرب دينه .. وللمسلمين دينهم ، وأن الإسلام هو نظام حياة كامل شامل ، وينبغي أن يبشر به المسلمون في الناس جميعاً : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ... ﴾ [الأعراف: ١٥٨] ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] .

صحيح أن الفكر الإسلامي المعاصر قد مرَّ بمراحل وهو يواجه الفكرة الغربية ؛ فظهر (الفكر الدفاعي) ثم (الفكر التقريبي القياسي) ، وانتهى الأمر بانتشار (الفكر الذاتي) الداعي إلى تقديم الإسلام فكرة كلية عن الإنسان والكون والحياة ، وأنها المنقذ للبشرية من مفاسد الفكرة الغربية المنافية للفطرة .. بتجلياتها العلمانية والإلحادية .

ولكن قراءة متأنية في الفكر الإسلامي المعاصر .. تكشف أن من أبرز أهداف الحركة الإسلامية التجديدية .. ما أعلنه في أهدافنا ودعونا إليه ، وهو :

(مواجهة التحدي الحضاري الحديث : الفكري ، والاجتماعي ، والاقتصادي ، والسياسي ، والخلقي . وإثبات وجود الإسلام في حياتنا ، وفي العالم ، على مستوى العصر وحاجات العصر)

الخلاصة

- إن الفكرة الإسلامية تشكل بديلاً حضارياً لحضارات البشر جميعها ، وهذه مسألة عقيدة ، ويشهد لها الواقع التاريخي والحوار القائم بين الفكرة الغربية وبين الفكرة الإسلامية اليوم .
- وإن على المسلمين أن ينهضوا .. في كافة العصور .. بواجب استنباط ما يناسب كل عصر في مجال التحدي ، وإثبات ملاءمة الإسلام للفطرة .
- وإن الحركة الإسلامية المعاصرة قد أقرت بتغلب الحضارة الغربية .. ولم تعترف بتفوقها ، ولذلك دعت وسعت إلى توفير إمكانات تقديم الإسلام بديلاً لحضارة الغرب في جوانبها المادية الشهوانية ، وبينت أن البديل الإسلامي «بِهْدِي لِلنَّبِيِّ هِيَ أَقْوَمُ» فيحافظ على جوانب الإبداع الحَيِّر ، ويقاوم السقوط العقدي والأخلاقي المدمر .
- وإن التيار الإسلامي يرحب ويفرح بكل جهد ، فردي أو جماعي ، يزيده بصيرة ، ويسهم في تقديم الإسلام بصورة مؤثرة تقيم الحجة وتهدي القلوب .
- ولا شك في أن هذا الواجب لا ينهض به الذين يكتفون بالحديث عن وجوبه ، وإنما أولئك الذين يتقدمون الصفوف .. فينمّون ما وهبهم الله من حسن فهم وإدراك ، ويضعون كل ذلك في خدمة هذه الحقيقة . وأحشى ما أحشاه هو أن يكثر الكلام عن (البديل الحضاري الإسلامي) فيظن المتحدثون أنهم مفكرو هذا الميدان .. ثم تكشف الأيام أن معظمهم قد أضع وقته في النقد من غير أن يقدم البديل ، ومن غير أن يضع جهده فيما هو أهل له من العمل . فمن كان مهياً للتبليغ .. فليبلغ ، ومن كان مؤهلاً للتفكير .. فليفكر .
- وأخيراً .. فإن التيار الإسلامي بمجموع جهوده الفكرية ، والدعوية ، والتربوية ، والإصلاحية .. الخ . يسهم في توفير تراكمات معرفية وحاجية تمهد باستمرار لظهور مفكرين مبدعين ، يقدمون للمسلمين وللعالم ما يتطلعون إليه من فكر ورؤى .. وأن على حركات الدعوة والتبليغ حمل هذا العطاء وتحويله إلى برامج عملية ، تنصر دعوة الحق وتنير للأجيال طريق الخروج من الأزمات والظلمات



الإسلاميون وعوامل الضغط

لقد شد انتباهي في الآونة الأخيرة ظاهرتان :

الظاهرة الأولى : لجوء عدد من الكتّاب إلى استعمال (أسماء مستعارة) والحرص على عدم

التصريح بالاسم الصريح . وهذا راجع لدى معظمهم - كما يلوح لي - إلى :

١- الظن بأن المعاني التي يتناولونها قد تعرضهم إلى مُسائلة من قِبَل أجهزة القمع في أقطارهم

أو حيث يقيمون .

٢- تقديرهم أن المنبر الذي ينشرون من خلاله ما يروونه مفيداً نافعاً قد يسبب لهم متاعب

هم في غنى عنها .

وهذا السلوك يشير إلى فظاعة التشويه الذي يمارسه المستبدون ، فقد ولّدوا في حملة الأقلام

خوفاً قذف بهم بعيداً عن تناول القضايا الحيوية ذات الصلة بمصائر الأمم ، وفي ذلك خسارة

كبيرة ؛ فإذا أراد بعض هؤلاء الأحرار إراحة ضميره ، فإنه يبوح بما يجول في خاطره مستخدماً اسماً

مستعاراً ! ، يمهر به مقالاته في الصحف والمجلات -التي تفسح مجالاً لنقد الأوضاع السياسية- أو

يضعه على كتاب ينشره في مكان ناء !!

أما الكتّاب الذين لا يلجؤون إلى استعارة اسم ، أو لا يجدون منبراً حراً ينشر آراءهم ،

فإنهم يلوذون بلون من الكتابة الرمزية ، التي تقنعهم أنهم قاموا بواجب البيان ، وإن كانت عباراتهم

غير مفهومة من قِبَل كثير من الناس ! . وقد صور الشاعر محمد عصفور في ديوانه (دموع الكبرياء)

معاناة هذا الصنف من أرباب الفكر فقال :

شاعر كم جبان

يخاف من جريمة الإفصاح

لذا تراه يختفي في حلقة العبارة

ينسجها من أغرب الرموز

يملؤها بالليل والأشباح

وكل قطعة تلوح كالمغارة

مغلقة على عجائب الكنوز

فهل هناك جريمة أشنع من الاستبداد؟! وهل يتردد عاقل في تبني العمل على تحرير الشعوب من طغيان الحكام البغاة الطغاة!؟

الظاهرة الثانية : هروب عدد من أصحاب الفكر والرأي من التصريح بما يروونه حقاً وصواباً ؛ خوفاً من أن يصنفهم طواغيت الزمان (العالميين) والمكان (المحليين) في قائمة الأصوليين أو المتطرفين ، ويحصل هذا حتى في البلاد التي ترفع لواء الحريات !! . بل وصل التهيب إلى حد الخوف من القيام بأي عمل طيب مشروع ترى قوى التسلط العالمي أو المحلي أنه عمل متطرف أو يدعم متطرفين !! .

■ **فالجهاد ..** إياك أن تتحدث عنه ، وإلا فأنت أصولي ، متطرف ، إرهابي ! . لأن إحياء فنون القوة والفتوة محرم على المسلمين ! .

■ **واليهود ..** حذارٍ ثم حذارٍ أن تتعرض إليهم بكلمة تزعجهم .. حتى لا تدخل في عداد أعداء الإنسانية .. ولأن القوانين في الغرب تُجرّم من يكشف تزيف يهود التاريخي .. وبخاصة في العصر الحديث ! .

■ **والاستسلام لليهود ومن يشايعهم عالمياً ومحلياً ..** لا يصح أن تعارضه .. وإلا فأنت داعية حرب وإرهاب .. وعدو للسلام وللشرعية الدولية !! .

■ **وقيم الغرب السياسية والاجتماعية والاقتصادية ..** لا تقل عنها ما قاله الشاعر عبد الله

الحامد:

لنا خلقٌ وللإفرنج خلقٌ أيُفرضُ دينُه حتى نديننا؟!
لنا مُثُلٌ وللغربي مُثُلٌ وما كلُّ الحضارة من (أثينا)!
لنا حُلْمٌ وللإفرنج حُلْمٌ أيقتلُ حلمنا الحلو الجنيينا؟!

فإن أبيت إلا رفض التبعية وإلا الدعوة إلى التحرر .. فأنت ظلامي تنتكر لإنسانية الإنسان وحياته وحقوقه .. وتفسد في الأرض ! .

■ **والصدقات والتبرعات ..** لا تعطها إلى مؤسسات خيرية ، حتى وإن زعم مسؤولوها أنهم ينفقون الأموال على فقير وضعيف ويتيم .. لأن هذه المؤسسات تشكل البنية التحتية للأصوليين ! .. وسيكون كل متبرع لهذه المؤسسات مسانداً للمتطرف والإرهاب .. حتى وإن

كانت تلك المؤسسات قانونية وتعمل في وضوح النهار !! .

ولو ذهبت أعداد القضايا التي أضحت تضغط على الناس ، بفعل الإرهاب الإعلامي ، والمضايقات العملية ، والإقصاءات السياسية والاجتماعية ، لطال بنا الحديث ، وفيما ذكرته مقنعاً بأن أصحاب القرار الدوليين والمحليين يمارسون ضغوطاً هائلة ، تدفع كثيرين من أرباب الفكر إلى السكوت ، أو إلى السير مع التيار ، أو إلى البحث عن صور من الممارسة تقنعهم بأنهم مازالوا أوفياء لمبادئ الحق والعدل .

هاتان الظاهرتان .. تدمغان قوى القهر بالإرهاب والقسوة والوحشية .. وتزرعان في الناس الوصولية أو الأحقاد .. وتدفعان إلى ألوان من التفكير والتصرفات الراضية لتكبييل الحقائق وفرض قاموس الذل والهوان . وقد تكون الأفكار الناشئة في أجواء القهر حاقدةً تأرية مدمرة ..

إننا ندعو من بأيديهم السلطان إلى الكف عن سياسة الترهيب والإذلال والمحاصرة .. لأن العدل أساس الاستقرار .. وناشد الذين يعيشون في ظروف قاهرة قاسية أن يتحلوا بالصبر والمصابرة .. وأن يتعدوا عن القرارات المتأزمة .. وأن يستمروا في حب الحق وصبغ حياتهم به .. وفي الدعوة إليه .. ونحذر دعاة الحق من استفزازات شياطين الإنس الرامية إلى إخراجهم عن التصرفات الرشيدة تمهيداً لضربهم ومحاصرة دعوة الخير والعدل .



حولوا الشعار إلى واقع

نشرت صحيفة إسلامية - قبل عقود من الزمان - مقالات طرح كاتبها مجموعة ملاحظات يأخذها على كتابات سيد قطب رحمه الله تعالى .

فثارت عواطف المحبين ، وكتبت ردود كان معظمها ينادي : (سيد قطب .. افهموه ولا تظلموه) وجاء بعضها عاطفي المزاج فخرج عن أصول اللياقة .

وقبل سنوات لقيت شاباً جدّي القسمة ، علمت أنه صالح السيرة ، فسألني عن رمز إسلامي في بلد عربي : أتعرف فلاناً؟! أجبتة : لا أعرفه شخصياً ، ولكن أهل الخير يتنون عليه ، وتشهد له جهوده في مجال التعليم والثقافة والأدب بالفضل . فقال الشاب : ولكني أخالف هؤلاء

الفضلاء ! وأرى أنه (..) !! .

فوجئت بجدّة الشاب وقسوته في الحكم ، وسلطة لسانه ! ؛ فقلت له : هوّن عليك ، وأخبرني بما عندك ، عسى أن نتعاون على فهم أفضل لما تشكو منه . قال : هل اطلعت على كتابه الذي ألفه عن حياة سيد قطب ؟! . قلت له : نعم ، والكتاب فيه جانبان ؛ تاريخي وتفسيري . وقد يستوقفك ما لا يستوقفني ، فقلّ ما تراه عيباً ! .

قال : إن الكاتب يزعم أن بعض أفكار سيد قطب كانت متأثرة بجو الفتنة الذي عاش فيه سنوات .. وهذا كذب .. لأن سيد قطب رحمه الله كان ينطلق من القرآن والسنة ، ويذكر الدليل تلو الدليل على ما يقرره . لقد حكم بالقرآن والسنة على الواقع ، ولم يأت بشيء من عنده ! .

قلت له : إن الكاتب يرى رأياً حسناً في سيد قطب رحمه الله ، وقد أثنى عليه ودافع عنه بجرارة وصدق ، ويحق للكاتب أن يخالف سيداً فيما فهمه من القرآن والسنة ، سواء كان مصيباً أم مخطئاً ، ويجب علينا أن نُحكّم قواعد القبول والرفض الشرعية ، وهذا من العدل والإنصاف . ولا يحط من قدر سيد رحمه الله أن يخطئ ، لأنه في نظر الشرع مأجور في اجتهاده . ثم إن علينا أن نفرق بين التخطئة وبين التجريم والتأيم ، أضف إلى ذلك أن النقد الموضوعي هو الذي يُدخل عوامل البيئة وظروف المرحلة في تقويم الآراء والمواقف والأفكار .. فالإنسان لا يتحرك في فراغ .. وليس عيباً أن يتفاعل مع مؤثرات زمانه ، بل العيب كل العيب أن يدعي مدعٍ أن إنساناً ما فوق مؤثرات الزمان والمكان ! .

سكت الشاب ، وأظن أنه سكت احتراماً لا اقتناعاً !! .



لقد ذكرت هذه القصة لأن مضمونها يتكرر ، وذلك على الرغم من ارتفاع مستوى المعرفة النظرية بضرورة وفوائد النقد ، وهذه المشكلة دفعتني إلى التأمل في واقع أمتنا ، فوجدت أن عجز غالبية التيار الإسلامي عن ممارسة عملية المراجعة (النقد) لقادتهم واختياراتهم ومناهجهم ، إنما يمثل حالة من حالات شلل تيارات وحركات النهوض التي ظهرت في بلاد المسلمين في العصر الحديث -سواء تبنت الإسلام أو اعتمدت على فكر وافد- وعجز تلك التيارات والحركات عن تحويل كثير من رؤاها وتطلعاتها إلى واقع ملموس يرجع إلى علل تفتك بالأمة ، فالجميع يعانون من آفة تداخل المفاهيم والمبادئ ، واختلاط الأهداف بالوسائل ، ومزج الفكر بالأشخاص .

إن تقديس الأشخاص ، والاجتهادات الصادرة عنهم ، مرض رهيب يفرض التقليد الذي يبطل منفعة العقل ، ويُلزم بتكرار ما فهمه أشخاص في مرحلة لها شروطها وملاساتها . والسبب في استمرار هذا الداء العضال يكمن في كون معظم الناس لا يفرقون بين (النقد) وبين (الهدم) ، أو بين محب غيور وآخر حقود مغير . وأكرر القول بأن هذا المرض ليس محصوراً بالتيار الإسلامي ، بل إننا نلمسه على صعيد الأمة ، بدءاً بالأسرة وانتهاءً بمؤسسة الدولة .

إننا في أمس الحاجة إلى الانتقال من دائرة العبارة إلى دائرة الممارسة ، وبخاصة في مجال الأخلاق الجماعية ، ومنها النقد ، حتى تتمكن من مراجعة ما صنعه القادة ، وما قدمته الجماعة ، بقصد تصويب الفهم وتحريض الاجتهاد في كل جيل ومرحلة .

ليس عيباً أن نعتبر بتجارب الآخرين ؛ فلقد شهدنا نظامين تصارعاً طيلة عقود من الزمان ، وأعني : النظام الاشتراكي ، والنظام الرأسمالي . وشهدنا سقوط النظام الاشتراكي .. وتساءل الناس عن السبب في انهيار الاشتراكية وبقاء الرأسمالية؟! . والعارفون بالأمر يذكرون أسباباً متعددة ، ويهمننا هنا أن نشير إلى سبب واحد هو : عجز الاشتراكيين عن الاجتهاد ، وتقديسهم لمقولات وإجراءات مضت ، وقدرة الرأسماليين على تجديد الرؤية ، ونقد الأمس ؛ بأشخاصه وإجراءاته ، وتجاوز ما ظهر لهم ضرره وفساده .

وعملية النقد لا تؤدي دورها إلا إذا كانت مستمرة وقائمة على أسس وضوابط ، فإذا أهملت حيناً من الدهر ، فقد لا تستطيع الجماعات أو الأمم تجاوز تراكمات تقديس الأشخاص والماضي إذا أدركت ذلك في وقت متأخر ، كما حصل في زعامة الاتحاد السوفييتي قبل انهياره ، فقد حاولوا استنهاض الاجتهاد ، ووجهوا نقداً لماضي الفكر والممارسة ، إلا أن هذا لم ينفعهم بشيء .



آثار ضعف التكوين الشرعي

تحدثت في لقاء ثقافي عن دور الحركة الإسلامية المعاصرة في إحياء وتجديد كثير من معاني الحق والخير التي جاء بها الإسلام العظيم ، وذكرت على وجه الخصوص تصديها لظاهرة انفصال العلم عن العمل ، وبعد أن ضربت أمثلة على إيجابيات العمل الإسلامي الدعوي ، ذكرت أن هناك أموراً ما تزال في حاجة إلى حُسن فهم شرعي ، مشيراً إلى أن الخلل الذي حصل في فهمها قد رسخ إشكالات فكرية وأخلاقاً عملية خطيرة ، ومثّلت لذلك بمصطلحين : (البيعة) و (الجماعة) ، فقلت :

لقد وردت نصوص نبوية كريمة تأمر بالحرص على البيعة ولزوم الجماعة ، فجاءت فصائل في الحركة الإسلامية المعاصرة ، فرأت أن تنظيم الجهود لتحقيق الأهداف الكبيرة واجب ، وسمته (العمل الجماعي) ، وأن هذا يقتضي أن يكون هناك عهود تُلزم الناس بالوفاء ، وسموها (البيعة) . وأسقطوا معاني البيعة والجماعة الواردة في النصوص على عهودهم وتنظيماتهم ، واستنتجوا أن على كل مسلم أن يكون في عنقه بيعة ، أي : أن يكون عضواً في تنظيم ، وأن ترك التنظيم بعد الانضمام إليه خروج من الطاعة ومفارقة للجماعة . وسردتُ بعض النصوص التي يستدلون بها ، من ذلك : ما رواه مسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « مَنْ خَلَعَ يَدًا مِنْ طَاعَةِ لِقِيَّ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا حُجَّةَ لَهُ ، وَمَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ ، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً » وهو عند الحاكم بلفظ « مَنْ خَرَجَ مِنَ الْجَمَاعَةِ قِيدَ شِبْرٍ فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الْإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ حَتَّى يَرَاغِبَهُ ، وَمَنْ مَاتَ وَلَيْسَ عَلَيْهِ إِمَامَةٌ وَجَمَاعَةٌ فَإِنْ مَوْتَهُ مَوْتَةٌ جَاهِلِيَّةٌ » .

ثم بينت أن فهم تلك الفصائل الإسلامية لهذه النصوص غير صحيح ؛ لأن البيعة الواجبة الواردة إنما هي بيعة السلطان الحاكم ، فإذا قام حكم إسلامي فإن على كل مسلم أن يدعمه بكل ما أوتي من قوة ، وأن مفارقة الجماعة تعني الخروج على السلطان وتفريق الأمة وإغراقها بالأزمات . فلما فرغت من حديثي وجاء وقت الحوار ، نهض أخ كريم في العقد الخامس من العمر ، وعلامات الغضب بادية على وجهه ، فقال بنبرة حادة : لقد أمضيت قرابة الثلاثين عاماً في العمل الإسلامي ، وتلقيت العلم والتوجيه على أيدي شيوخ أجلاء وأساتذة معروفين بالفضل ، وكانوا متفقين على وجوب العمل الجماعي ، ويقولون بأن ترك التنظيم كبيرة ، ويصرون على وجوب

البيعة ، وكانوا يستدلون بمثل ما ذكرته من أحاديث البيعة والجماعة ، وما سمعته منك اليوم أذهلني وجعلني أتساءل : هل ما أخذته عن أولئك الأساتذة هو الصواب .. أم ما سمعته منك اليوم ؟!

وأدركت من طريقة كلام الأخ الفاضل أن مشكلته تكمن في مكانة الرجال عنده وليس في مضمون الكلام وحجتيه ، فهو قد تربى في جو له أساتذته وموجهوه ، وطبعي أن يكون لهم في نفسه مكانة سامقة ، وما سمعته في اللقاء قاله زائر لا يعرفه من قبل ، وفهم من كلامه أنه يسفه فهوم رجال مثل أساتذته ! . ومن كانت هذه حاله فإنه لا ينفع معه القول : إن عليك أن تناقش ما قلت بموازين شرعية مجردة عن ظروف المرحلة ، وعن مكانة الرجال في قلبك . ولاح لي أن الخروج من هذا الاعتراض بسلام ضروري ، فقلت للسائل : أقترح عليك أن تنقل ما سمعته إلى الأساتذة الأفاضل الذين أشرت إليهم ، وأنا مطمئن إلى أنك ستجد عندهم جواب سؤالك ، ولكن اسمح لي أن أوضح أمراً يتعلق بموضوع العمل الجماعي : إن الإسلام يأمر المسلمين بالتعاون على البر والتقوى ، فكل عمل صغير أو كبير يحتاج إلى اجتماع جهود لإنجازه ، فإنه يجب على من لهم علاقة به أن يسعوا إلى تنظيم جهودهم ، وأن يوفوا بعهودهم ، فالتعاون والوفاء بالعهود من سمات أهل الإيمان .



لقد سقت هذه القصة لأن جوهرها -الجرأة في إسقاط النصوص بغير أهلية على الواقع- ما يزال يتكرر على الرغم من اتساع دائرة التعليم ، وازدياد عدد الكليات والجامعات الإسلامية ، وتوفر وسائل المعرفة بصورة لم يسبق لها مثيل ، وعلى الرغم من الانتشار الأفقي لتيار الصحوة الإسلامية . وهذه الظاهرة تطرح سؤالاً عن الأسباب التي تجعلها متعددة الصور مع اتحاد الجوهر ؟! . وإسهاماً في تسليط الأضواء على الأسباب أشير إلى عدد منها على النحو الآتي :

١- دور القيادة : أحفظ عبارتين تُنسب أولاهما إلى الأستاذ حسن البنا رحمه الله تعالى : (ما أكثر الجنود وأقل القادة) والثانية قالها محب الدين الخطيب رحمه الله تعالى : (المسلمون إلى خير ولكن العيب في القيادة) . فهاتان العبارتان تشملمان صنفين من القيادات :

أ- القيادة الموهوبة : وهي التي تشغل -في الظروف العادية- مكان القرار والاختيار عن جدارة :

■ فإذا وصل إلى قيادة جماعة ما زعامة غنية الأفكار قوية العزيمة ، فإنها تصوغ برنامجاً واقعياً

يقوم على مفاهيم ومبادئ واضحة منتجة ، وتسير بالجماعة خطوات واثقة واعدة على طريق تحقيق أهدافها .

■ أما إذا كانت هذه القيادة فقيرة الأفكار فإن عزيمتها القوية لا تحول الفكرة الهزيلة إلى إنجاز كبير .

■ وإذا كانت القيادة عظيمة الأفكار رديئة العزيمة ، فإن أفكارها العظيمة لا تجد طريقها إلى الإنجاز الكبير .

ولكي تحقق القيادة الموهوبة برنامجاً سليماً ، فإنها في حاجة إلى توفر عدد مناسب تكون نوعيته جيدة من الصنف الثاني من القيادات ، وهو :

ب- القيادة الميدانية : وهي التي تتكون من الموجهين المباشرين الذين يحملون مسؤولية تربية وصياغة وقيادة الأفراد في ساحة العمل الميداني . فإذا كانت هذه القيادة قادرة على فهم الفكرة البانية التي تصوغها القيادة الموهوبة ، وتمتع بحسن عرضها وقيادة أفراد الجماعة إلى تحقيق أهدافها ، كانت النتائج باهرة ، أما إذا أصيبت هذه القيادة بآفات ، فإن النتائج التربوية والإنجازات تصاب بتشويهاً تظهر في الأفراد .

وإن مما يجز في القلب أن الحركة الإسلامية تعاني من نقص في عدد القيادات الميدانية الفاعلة ، ومعظم هؤلاء الفاعلين يشكون من تشويهاً يورثونها لمن حولهم .. وهم لا يشعرون !!

وإذا المعلمُ لم يكن عدلاً مشى روحُ العدالةِ في الشباب ضيلاً
وإذا المعلم ساء لَحْظَ بصيرةٍ جاءت على يده البصائرُ حُولا
وإذا أتى الإرشادُ من سبب الهوى ومن الغرور فسَمَّه التجديلا

٢- ضعف البنية الشرعية : فإذا نظرنا إلى ظروف نشأة تيار التجديد الإسلامي ، فإننا نلاحظ بصماتها في فكره وسلوكه ، فقد نشأ هذا التيار نتيجة الاصطدام بالغرب ، الذي نتج عنه تهاوي مؤسسات الأمة المسلمة التي كانت منحورة من داخلها ، ويأتي في مقدمتها المؤسسة السياسية (الخلافة) ، وقامت على أنقاض تلك المؤسسات مؤسسات أخرى تبنت الفكرة الغربية في التشريع والقضاء وسائر شعب الحياة . وكان بدهياً أن ينعكس ذلك على حركة التجديد ، فبرز ما يسميه البعض تيار (الإسلام السياسي) الذي أتقن موضوعات الصراع المباشر مع إفرزات الفكرة

الغربية ، ولكنه ظل ضعيفاً في التكوين الشرعي الشامل .

٣- توقف معظم العاملين عن النمو المعرفي : ويظهر هذا في :

- عزوف عامة التيار الإسلامي عن القراءة والاطلاع بعد مرحلة الالتزام الأولى ، وهي المرحلة التي يعطي الفرد فيها جهداً ملحوظاً من أجل استيعاب الفكرة الإسلامية ، ثم يكاد يتوقف هذا الجهد . وهذا له تأثيراته على رؤية الأمور ، وعلى كيفية التفاعل مع القضايا ، فالذين لا يتابعون الاتصال الحي بمصادر المعرفة تتصلب نظرتهم ، ويرون الواقع المتغير بعيون المراحل المنصرمة .
- نفور معظم الفصائل من قراءة ما عند الفصائل الإسلامية الأخرى ، وهؤلاء أشد نفوراً من قراءة فكر المتغربين ، وهذه الأحادية المعرفية تفرض محدودية في النظر إلى الأمور .

نخلص من هذا إلى القول : إننا نشعر من أعماق قلوبنا بحاجتنا الماسة إلى النهوض المعرفي على مستوى القيادات الموهوبة والميدانية ، وإلى بناء متين للبنية الشرعية لدى الأفراد ، حتى يتمكنوا من التمييز بين الآراء ، وهذا كله يصب في نهر التجديد المعرفي الذي يصبوب المفاهيم ويضبط النسب بين الأمور المشروعة ، ويهب قدرة على إنزال النصوص على الواقع بأهلية تجعل المجتهد مأجوراً ، سواءً أصاب أم أخطأ ، أما اجتهاد القاصر فإنه قاتل ، وصاحبه على خطر كبير .



اتركوا الحوار بالخارج!

يمر العالم الإسلامي ، منذ سنوات ، بمرحلة حوار داخلي فرض على قواه الفاعلة -صغيرها وكبيرها- اللجوء إلى وقفة تأمل ومراجعة تهدف إلى استيعاب المتغيرات المحلية ، والإقليمية ، والعالمية ، رغبة في امتلاك رؤية مستقبلية تساعد تلك القوى على ترتيب أوراقها دفعاً لمفاسد وجلباً لمصالح .

وتشمل هذه المراجعة التيار الإسلامي والتيار العلماني ، ويستوي في ذلك الأحزاب والجماعات التي تتحرك على المسرح السياسي ، وتلك التي تؤثر الابتعاد عن الأعضاء . ولا نبالغ إذا قلنا : إن هذه المراجعة لم تدع صاحب فكر وفاعلية بعيداً عن نقد الذات ونقد الآخرين .

ولا نستطيع -في هذه العجالة- حصر ألوان الحوارات التي تجاوزت ألوان الطيف ،
وسنحاول تركيز الكلام على قضايا عملية تصلح أمثلة لأبرز أنواع الحوار في هذه المرحلة :

١- تركيا : ونود أن نشير في هذا القطر المحوري إلى مسألتين ؛ إحداهما لها ارتباط بأقطار
إسلامية أخرى :

المسألة الأولى : إذا نظرنا إلى الساحة السياسية التركية فإننا نجد أن فصائل التيار الإسلامي
ليست متفقة على صورة العلاقة مع القوى غير الإسلامية ، ونجد أن التيار العلماني مختلف أيضاً
حول علاقته بالتيار الإسلامي ، ففي داخل التيارين خلافات فكرية ومصالحية تدفع الجميع إلى
حوارات مباشرة وغير مباشرة ، وتكون أحياناً هادئة ، ويغلب عليها التشنج والانفعال .

ونرى أيضاً أن العمل السياسي التركي يمتاز باعتراف جميع الفرقاء بالدستور والقانون ،
ومع ذلك فإن محاولات تفكيك الأحزاب ذات المرجعية الإسلامية لم تتوقف ، ولم تبق المحاولات
محصورة في نطاق الكيد الحزبي ، بل دخلت المؤسسة العسكرية وأطراف في المؤسسة الدستورية
المعركة ؛ فدعا الجيش جهاراً نهاراً إلى تقليص أظافر الإسلاميين ، ورفعت جهات دستورية صوتها
بوجوب التصدي لكل من يحمل أفكاراً تناقض روح الدولة التركية الحديثة ، ونخشى أن يتطور
الخلاف إلى مواجهة ساخنة تحمل دماراً كبيراً إلى هذا القطر ، الذي يشكل قاعدة من قواعد
النهوض الإسلامي .

المسألة الثانية : وتتعلق بالأزمة الكردية التي تتحرك في أربعة أقطار (إيران - تركيا -
العراق - سورية) ومما يؤسف له أن القوى المتحاوره اختارت لغة السلاح في معالجة الأزمة ، ولم
يتمكن التيار الإسلامي في تركيا من الترويج لفكرة الحل السلمي ، وأصرت المؤسسة العسكرية
على الحل الدموي المسلح ، وقامت ولا تزال بحملات تحمل الموت والدمار داخل المنطقة الكردية
في تركيا وشمال العراق ، مستغلة المستنقع العراقي ، ومستفيدة من دعم دول الغرب وبخاصة أمريكا
!! .

وترفض الحكومات في تركيا والعراق وإيران وسورية الاعتراف بأن السبب الحقيقي للأزمة
الكردية هو الفكر القومي (العربي - الطوراني - الفارسي) الذي تُرجم في الممارسة محاربة لكل ما
يميز الأكراد ، وإبعاداً لهم عن مركز القرار بسبب كرديتهم !! .

٢- فلسطين : كانت الانتفاضة التي انطلقت عام ١٩٨٧ مؤذنة بتبلور المقاومة الفلسطينية الساعية إلى مقاومة الاحتلال اليهودي من داخل فلسطين . فكانت هذه الظاهرة أحد الأسباب الرئيسة التي دفعت أطرافاً عالمية ومحلية إلى إخراج (اتفاق أوسلو) الذي طرح معادلة جديدة فرضت على أبناء فلسطين إعادة ترتيب الأوراق ، وجعلت المقاومة الداخلية في علاقة مباشرة مع سلطة الحكم الذاتي . واختارت فصائل البعد عن الصدام . وهنا برزت مشكلة بين الصهاينة وبين سلطة الحكم الذاتي ، وذلك حين أصر الصهاينة على القول بأن السلطة أحفقت في القضاء على (الإرهاب) !! وأنها لم تقم بواجبها .

ولكن استمرار وتصعيد حملات الاعتقال وملاحقة المقاومة قد يؤدي إلى ردود فعل ، وقد تتحول إلى مواجهات ساخنة بين الفلسطينيين أنفسهم ، وهذا ما نخشاه ونحذر منه .

٣- الجزائر : لم يرق للمؤسسة العسكرية أن تفوز الجبهة الإسلامية للإنقاذ بثقة وتأييد الشعب الجزائري ، فانقض العسكر على السلطة ، وألغوا الانتخابات ، وألقوا قيادة الجبهة الإسلامية وأعوأهم في غياهب السجون ، وأصروا على فرض ما يرونه في العمل السياسي . فكان لصنيعهم هذا ردود فعل عنيفة ، وكانت المواجهة الساخنة التي تطورت لتصبح مأساة رهيبة فظيعة مروعة تقشعر عند سماع أخبارها الأبدان .

وأصرت المؤسسة العسكرية على صياغة دستور جديد ، ووضعت نظاماً للأحزاب والانتخابات ، ودعت جميع القوى السياسية إلى الالتزام بها إذا أرادت الاستمرار في العمل السياسي ، ورضخ معظم الأحزاب لما أملتة السلطة العسكرية .

إن إصرار العسكر على إبعاد الإسلام من العمل السياسي ، وعلى اعتقال زعماء ورجال الجبهة الإسلامية للإنقاذ ، يعني أن أسباب الأزمة ما تزال موجودة ، وهذا سيكون له انعكاساته في قابل الأيام .



وبعد : فإن الأمثلة التي ذكرناها تقول :

١- إن القوى العلمانية تصر على فرض (مرجعيتها) وترفض أن تعطي الشعوب حق تقرير دستورها واختيار من يحكمها ، من خلال صناديق الاقتراع .

صحيح أن مرجعية العلمانيين تختلف عن مرجعية الإسلاميين ، ولكن العملية السياسية تقرر أن من حق الشعب تفويض من يشاء بتغيير الدستور ، أي تحديد المرجعية ، وفي هذا يتساوى الإسلاميون وغيرهم . ولكن الحكام العلمانيين يعطون أنفسهم حق الوصاية على الشعوب ، فإذا اختارت ما لا يروق لهم ، فإنهم يتهمونها بالطفولة السياسية ويتدخلون لرد الأمور إلى ما يرونه !! ، وهذا التصرف من العلمانيين يمثل قمة الاستخفاف بالشعوب .

٢- إن العلمانيين هم الذين استخدموا -وما يزالون- القهر والتعذيب والتكيل بالمخالفين ، وما يراه الناس من ردود فعل تصدر عن مجموعات إسلامية إنما يمثل **العنف المضاد لعنف السلطة العلمانية** ، وهذا لا يعني أننا نؤيد ردود الفعل العنيفة ، ولكننا لا نستطيع أن نغض العيون عن أسبابها ، ونتمنى أن تتحلى تلك المجموعات بالصبر على استفزاز السلطات العلمانية الرامي إلى توريث الشباب في أعمال تعطي العلمانيين (مبررات) المصادرة والمحاصرة والضرب .

٣- إننا ندعو جميع القوى السياسية والاجتماعية والثقافية إلى التخلي عن فكرة إقصاء المخالفين ، وإلى رمي السلاح عند التحاور ، وإلى تقليص أظافر الأفكار التي يحملونها . فقد كفانا ما وقع في أمتنا من مصائب بسبب التحاور بالخناجر !! .

٤- وإننا إذ ندعو العلمانيين إلى العدل والإنصاف في تعاملهم مع المخالفين ، فإننا نؤكد على التيار الإسلامي أن يتحلى بأخلاق الأنبياء عليهم السلام الذين قال الله تعالى في خاتمهم ﷺ ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ** ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] .



السبيل إلى تعاون مثمر

في لقاء ضم نخبة من العاملين في الحقل الإسلامي ، مشاربهم متنوعة ، تحدثت في خواطر تحت عنوان (السبيل إلى تعاون مثمر) فكان من جملة ما قلت :

من المعلوم لدى حملة الفكرة الإسلامية أن (الحركة ولودٌ والسكون عاقر) فإذا أردنا أمراً فإن علينا أن نتحرك باتجاه تحقيقه ، وإلا كنا ﴿ ... كَبَّاسِطٍ كَفَيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ... ﴾ [الرعد: ١٤] .

ومن المعلوم أيضاً أن الأجسام لا تتحرك إلا إذا توفر لها قوتان :

١- قوة تتغلب بها على (المقاومة الذاتية) والمقصود بذلك (الثقل) ويقابله في الإنسان أمور كثيرة منها (الجهل ، والشبهات ، والشهوات : حب الدنيا ، عشق الذات ، الحسد ، الرياء ، الإعجاب بالرأي ..) .

٢- وقوة تتغلب بها على (المقاومة الخارجية) والمقصود بذلك (الاحتكاك بالأرض والهواء ونحو ذلك) . ويقابل هذا عند الإنسان أمور منها (الأطماع الخارجية ، والظلم السياسي والاجتماعي ..) .

ونعلم جميعاً من نصوص الوحيين ؛ القرآن الكريم والسنة المطهرة :

▪ أن النزاع والتفرق شر : ﴿ ... وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ... ﴾ [الأنفال: ٤٦] .

▪ وأن التعاون واجب : ﴿ ... وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ... ﴾ [المائدة: ٢] .

▪ وأن هناك واجبات لا تتحقق إلا باجتماع جهود وقلوب : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَتْهُمْ بُيُوتًا مَرْضُوعًا ﴾ [الصف: ٤] .

والسؤال المحير : إذا كان دعاة الإسلام يعلمون ما أشرنا إليه من الأوامر الربانية ومن الحقائق الحياتية ، فلم لا يعملون بها كما هو حالهم مع غيرها من الأوامر؟!

الجواب ببساطة : لأن هناك أزمات تمنعهم من سلوك طريق القوة والعزة . وبما أن الأزمات المانعة للتعاون كثيرة ، فسأكتفي بالإشارة إلى عدد منها تدل على أننا في حاجة إلى انقلاب عميق الجذور حتى نتمكن من بناء قاعدة فكرية أخلاقية جماعية .

أولاً : أزمة (التعددية) فالعاملون يعترفون (نظرياً) بحق التعدد في الآراء إذا تعلق الأمر بمسائل اجتهادية ، ولكنهم (عملياً) يجرّمون التعدد ، ويظهر هذا في (الالتزام) للمخالف بدلاً من (التخطفة) أو في إنزال (التخطفة) منزلة (الالتزام) !! .

ثانياً : أزمة (الشيخ والمريد) : فما زلنا نعيش في أوضاع يتحكم فيها مزاج القيادة ، وهي في الغالب قيادة فردية ، ولم نتمكن من إقامة عملنا الجماعي على مؤسسات قادرة على التفكير

والتقرير وقيادة عمل جماعي هادف ، وذلك على الرغم من نقدنا اللاذع للأوضاع السياسية التي لا تتوفر فيها ضمانات العمل الشوري .

ثالثاً : أزمة (الإقصاء) أو (الإلغاء) : وهذا الموقف النفسي من نتائج الصراع بين (الفكرة الإسلامية) و (الفكرة الغربية) ، فقد ألقى الصراع في روعنا أن من مقتضيات الإسلام أن نلغي الفكر الآخر (الوافد) أو نقصيه ، وأعني بذلك أصحابه . وانعكس هذا الموقف على العلاقة بين فصائل الحركة الإسلامية للأسف الشديد ، فلم يعد مقبولاً اختلاف التنوع لأنه اعتبر اختلاف تضاد !! .

رابعاً : أزمة (الأصالة والمعاصرة) : وأحياناً تطرح تحت عنوان (الاتباع والابتداع) ولذلك نرى فريقاً من العاملين الذين تعمقوا في دراسة الماضي ؛ فانشدوا إليه وقاموا بإسقاط أولوياته وهمومه على الحاضر . وفي المقابل نجد فريقاً ركز اهتمامه على الحاضر ومشكلاته ففاته بعض من منهجية الماضي . واتهم كل فريق الآخر بما ينال من عقله أو إيمانه أو إخلاصه !! .

ولا ريب في أن موقف العدل يقول : لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها ، وهذا يعني أن التمسك بالمنهج الذي جاء به النبي ﷺ في العلم والعمل هو الذي يخرجنا مما نحن فيه من خلافات حادة .

خامساً : أزمة (الحركة) و (الفكر) : ويتجلى ذلك في الصراع بين (النصوصية) و (العقلانية) الذي أدى لدى قطاع كبير إلى تهميش دور العقل في إبداع صور عملية تناسب ظروف العصر وملتزمة بمنهج الإسلام ، وأدى أيضاً إلى بروز آراء وممارسات خارجة من رحم الفكرة الغربية ويراد لها باسم العقلانية أن تُعتمد في الفكر والسلوك .

ونحن -والحمد لله- أمة فهمت النقل (النصوص) بالعقل ، وضبطت العقل بالنقل . فمن ألغى العقل في فهم النص فقد أخطأ ، ومن تجاوز حدود النقل -ولو متأولاً- فقد أساء .

سادساً : أزمة (توصيف الواقع وتحديد طريقة التعامل معه) : فالدولة العلمانية التي أقيمت بحراب الغرب وفُرضت على المسلمين ، والتيارات الفكرية الوافدة التي تمثلت بأحزاب وسلوكيات اجتماعية واقتصادية وأخلاقية .. أدى كل ذلك إلى خلاف في تحديد أبعاد هذا الواقع وفي معرفة الطريقة الشرعية المناسبة للتعاطي مع هذه المتغيرات في المجتمع الإسلامي . وأدى هذا الخلاف إلى ألوان من الاتهامات ، وغرس في القلوب والمشاعر الكراهية والبغضاء ، وأصبحنا نشعر بالفرح يغمر

أناساً حين يصاب تيار إسلامي من قبل السلطة الحاكمة ، أو من قبل عدو مستعمر ، نتيجة اختياره أسلوباً لا نرضاه في التصدي للمشكلات !! .

سابعاً : أزمة (الاحتواء الحركي) : فالجماعات والشخصيات حين يُبدون الرغبة في التعاون مع عاملين آخرين ، نجد أنهم يضعون لأنفسهم من الشروط ما يجعل تعاونهم مع الآخرين محدوداً بلقاءات يُظهرون فيها المودة والرغبة في التعاون ، وننظر في الواقع العملي فلا نرى أثراً لهذا التعاون إلا في أمور ثانوية جداً .

والهاجس الأكبر المانع من خطوات عملية وفكرية هو إصرار كل طرف ، فردي أو جماعي ، على استقلال شخصيته ، وخوفه أن يُحتوى من قبل إخوانه الآخرين !! .

ثامناً : أزمة في (صور الوحدة الملزمة شرعاً لجماعات الدعوة) : فصورة العمل السياسي والاجتماعي والدعوي مأخوذة عن (الخلافة) : أمة واحدة وحاكم واحد . وهذا يشير إلى فقر في (الفقه السياسي) الذي يتعامل مع الظروف ويُبدع في استنباط صور الوحدة المناسبة للمكان والزمان والإنسان . وعدم وجود صور اجتهادية يجعل التلاقي بين العاملين مُشعراً برغبة فريق في الهيمنة على الآخرين !! .

تاسعاً : أزمة في (الأخلاق) على مستوى القيادة فضلاً عن القاعدة : وهذا نلمسه في صور بسيطة جداً ، فعندما يتحدث كثير من القياديين عن الآخرين واختياراتهم ، فإنهم يضعون رأيهم ضمن هالة من القداسة ويغمزون بالآخرين من حيث يشعرون أو لا يشعرون ، فيؤدي هذا إلى تأزيم القاعدة التي تسير معهم ، وينشأ عن هذا (الالتام) بما يجره من سوء ظن وغيبة وطعن في الإخلاص ونحو ذلك . وذكرت في هذا المقام أبيات أحمد شوقي :

ربوا على الإنصاف فتیان الحمى تجدوهمُ كهفَ الحقوقِ كهولا
فهو الذي يبني العقولَ قويمَةً وهو الذي يبني النفوسَ عدولا
ويُقيم منطقَ كلِّ أعوجٍ منطقٍ ويريه رأياً في الأمور أصيلا



وإذا المعلم لم يكن عدلاً مشى روحُ العدالة في الشباب ضئيلا
وإذا المعلم ساء لحظٌ بصيرةٍ جاءت على يده البصائرُ حولا

وإذا أتى الإرشادُ من سبب الهوى ومن الغرور فسّمه التضليلاً

من هذا العرض (البرقي) لعدد من الأزمات المؤزمة للعلاقات بين الجماعات والدعاة إلى الله تعالى ، يتبين أن السبيل إلى تعاون إسلامي مثمر يتطلب إعادة ترتيب الأفكار ، وهذا لا يتم إلا بإعادة ترتيب المعلومات .. وفي حدود حديثنا أدعو إلى :

- ١- الإقرار القلبي بالتعددية في الساحة الإسلامية .
- ٢- إنهاء حالة الشيخ والمريد وبناء الجماعات على العمل المؤسسي .
- ٣- تربية الأجيال على أخلاق الداعية وإبعادهم عن صفات القاضي .
- ٤- تحريك القدرة الفكرية وتنميتها حتى تساعد في فهم أفضل للنصوص وللواقع .
- ٥- إعادة النظر في دلالة (المصطلحات) وكيفية التعامل معها : (الأصالة ، المعاصرة ، القطرية ، العالمية ، .. الخ) .
- ٦- العناية ببناء الجانب الأخلاقي الجماعي .
- ٧- اعتماد المرحلة في الدعوة وفي العمل لبناء تعاون إيجابي ، فمن تعجل الشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه .



إذا لم تشغل نفسك بالحق شغلتك بالباطل

قال لي أخ كريم : عندما تجد أعمالاً طيبة تنهض بها فاحمد الله تعالى وإن تراكمت عليك وقل العاملون ، وإياك ثم إياك أن تفر من العمل مهما كانت الصوارف والمثبطات ، وإذا كثرت الأعمال عليك فتخير منها أكثرها نفعاً ، واتخذ أصحاب العزائم قدوة ، واحذر من السير في سبيل (البطالين) الذين قنعوا بالانتماء إلى الراية الإسلامية ولا عمل لهم ، أو كان لهم عمل في أيام مضت ثم لانت جلودهم وانحلت إرادتهم ، فعاشوا مع الماضي على هامش الحاضر ، وسيدلفون إلى هامش المستقبل ! .

تأملت في كلام الأخ الغيور الناصح فرأيت أنه يذكرني بالصبر الجميل في أجواء تكذيب

كريمة ، و حرب إشاعات منلزة ، وعزائم خائرة ، وكأنه يحذر مما حذر الله تعالى منه نبيه ﷺ بقوله : ﴿ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُكِنُّ كَصَاحِبِ الْهُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٥٧﴾ لَوْلَا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٥٨﴾ فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٥٩﴾ وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ﴿٦٠﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴾ [القلم : ٤٨-٥٢] . وكأني به يريد أن يذكرني بما أمر الله عز وجل به رسوله ﷺ : ﴿ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ ... ﴾ [الأحقاف : ٣٥] .

وذكرني كلام الأخ الفاضل بقول رسول الله ﷺ الذي رواه الترمذي عن أبي هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ قال : « إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ شِرَّةً ، وَلِكُلِّ شِرَّةٍ فَتْرَةٌ ؛ فَإِنْ كَانَ صَاحِبُهَا سَدَدًا وَقَارَبَ فَارْجُوهُ ، وَإِنْ أُشِيرَ إِلَيْهِ بِالْأَصَابِعِ فَلَا تُعَدُّوهُ » ورواه البيهقي عن ابن عمرو بلفظ : « إِنَّ لِكُلِّ عَمَلٍ شِرَّةً ، وَلِكُلِّ شِرَّةٍ فَتْرَةٌ ؛ فَمَنْ كَانَتْ فَتْرَتُهُ إِلَى سُنَّتِي فَقَدْ اهْتَدَى ، وَمَنْ كَانَتْ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ فَقَدْ هَلَكَ » .

فأريت أن هذا التوجيه النبوي الكريم يتضمن تحليلاً عميقاً لظاهرة (موجات المد الإسلامي) باعتبارها ظاهرة بشرية ؛ فمن طبيعة الموجة أنها تأتي قوية ثم تضعف إلى أن تتلاشى ، وهكذا (الشرة) : النشاط والرغبة في العمل ، و (الترة) : السكون والتقليل من النشاط ، ولا شك في أن مرحلة الترة -بصرف النظر عن أسبابها- مرحلة امتحان كبير ؛ فمن الناس من يسدد ويقارب ، أي يقاوم عوامل المرض في الحالة المستنقعية ، ومنهم من يصاب بأوبئة قاتلة ، ومن ذلك : الافتخار بأعمال صنعت في الماضي والتباهي بها مع عجز رهيب عن القيام بأعمال إيجابية في الحاضر ، ومنهم من يفقد القدرة على المقاومة والمتابعة ويعجز حتى عن الافتخار بماضيه .. فيضيع ويهلك !! .

من هنا يأتي دور (فقه التثبيت) داعياً إلى تعاطي الأعمال الواقية من فتن تهلك الإنسان ؛ فترية الحق باطلاً والباطل حقاً ، كما قال المعصوم ﷺ : « بَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ فِتْنًا كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلَمِ ، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا ، وَيُمْسِي مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا ، يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا » رواه مسلم وغيره .

وللفترة بعد الشرة أسباب ذاتية وأخرى خارجية ، وإن من أخطر الأسباب الذاتية : الإخلاق إلى الأرض ، ونسيان الآخرة ، والتنازع . وإن من الأسباب الخارجية : الإغراء ،

والاضطهاد ، والمحاصرة بالشائعات ، والقتل .. وهذه الأسباب قد تؤدي إلى عرقلة (الشرة) وتوفر الأجواء الموبوءة الداعية إلى توليد (فكر متفاهم) فتبرز (المداهنة) و (الركون) وكلاهما يتستر بالحكمة والعقلانية !! .

إن توقف المسلم عن الجهاد في سبيل الله تعالى -بمعانيه الشرعية الواسعة- مفسدٌ لقواه الفكرية وإرادته ، وإن الانحراف عن النهج لا يوصل إلى الأهداف ، ويحبط العمل ، وهو يوم القيامة حسرة وندامة .

ثم تذكرت حقيقة من حقائق الحياة مفادها : إذا لم تشغل نفسك بالحق شغلتك بالباطل . وآلني أن قطاعاً كبيراً من تيار الصحوة الإسلامية يهدر كثيراً من أوقاته وطاقاته في أعمال غير مفيدة ، بل إن معظمها مدمر للبناء الأخلاقي ، وقاطع لما أمر الله به أن يوصل ، كالاشتغال بالثقيل والقال بما يفرزه ذلك من تدابر وتقاطع وشحناء بين المسلمين . وآلني أكثر كون معظمهم لا يشعر أنه سقيم !!

فيا أبناء الإسلام العظيم .. اشغلوا أنفسكم بالحق تنصرف عن الباطل ، واعلموا أن أوقاتكم هي رأس مالكم فلا تضيعوها بما ينال من إيمانكم وإخلاصكم وصوابكم ، ولا تتخذوا الذين ولوا الأدبار أمام زحف الطاغوت الداخلي والخارجي قدوة لكم ، وتسلحوا بالصبر والمصابرة والمرابطة تفلحوا ، واصدقوا مع الله العهد يصدقكم الوعد ، ومحضوه الحب يمنحكم القرب .



ما قولك في هذا الكلام ؟

(كلمات في منهجية الفهم)

يسخر عدد من أهل القلم والبيان من اهتمام فريق من تيار التجديد الإسلامي بأمور يصفها الساخرون بأنها (ثانوية) ولا يصح أن تشغل بال المسلم أو تصرفه عن الإحساس بقضايا الأمة الكبرى ؛ كالتخلف ، والظلم السياسي والاجتماعي ، والغزو الثقافي ، والاستعمار ، .. الخ . ويتهكمون على من يسود الصفحات في بحوث مثل : (نهي الصحبة عن النزول على الركبة) ،

ويغمزون بمن ينكرون ترك سنن مثل (سنة إطلاق اللحية) ، ويتهمون من يشغل نفسه والناس بمثل هذه القضايا بـ (الذرية) في التفكير ونحو ذلك ، وبأن هؤلاء ليسوا مؤهلين لتجديد الدين والتمكين له في عالم اليوم .

وفي المقابل يستصغر فريق من المهتمين بإحياء العلوم الشرعية طائفةً من العاملين في الحقل الإسلامي ، يرفع روادها شعار التجديد وينادون بضرورة الاهتمام بموم المسلمين الكبرى ، ولكنهم يجهلون كثيراً من السنن النبوية ، أو يهملون العمل بكثير مما يعلمون منها ، بل إن كثيرين منهم لا يولون اهتماماً حقيقياً بمنهج ضبط المعرفة الإسلامية ؛ فهم يقلدون البيئة في العقيدة والشعائر التعبدية والسلوك ، وذلك مع علمهم بالمؤثرات التاريخية التي تركت بصماتها في الفكر والشعور والعمل ، ولا يقف الأمر عند تقليد الماضي ، بل هم في الحاضر يستحسنون كثيراً من إفرازات الفكرة الغربية الغالبة ويظنون أنهم مجددون .

ويخلص المستصغرون إلى نتيجة مفادها : إن التجديد الصحيح إنما يقوم على الاتباع ونبد الابتداع ، وهذا يقتضي التحلي عن كل ما يخالف الشرع ، بصرف النظر عن زمانه ، وعليه فإن الذين يقصرون اهتمامهم على مقارعة السلطان السياسي ، وجوانب من الفكرة الغربية ، ليسوا مؤهلين لقيادة عملية التجديد الديني .



وبتوسيع النظر يظهر أن هذه الخصومة داخل تيار التجديد الإسلامي في ظروف عصرنا ممكنة الوقوع ، ولكن ينبغي أن يكون هذا الحوار الداخلي مرحلة عابرة يخرج منها المتحاورون إلى بلورة مجموعة من ضوابط الفهم السليم وقواعد الاهتمام الواعي .. ومن ذلك :

١- ينبغي أن يهتم الدعاة إلى الله عزّ وجلّ بكل مسألة وردت في القرآن والسنة ، وعليهم أن ينزلوها المكانة التي أرادها الله تعالى وبينها رسوله ﷺ . والأصل أن يتربى المسلم على إقامة الفرائض ، وعلى الترقى في الكمالات بفعل النوافل والمندوبات ، كما يتربى على هجر كبائر الإثم والفواحش ، وعلى التحلي عن النواقص بترك المكروهات .

٢- وينبغي أن يولي المشتغلون بأزمات الأمة السياسية والاجتماعية والفكرية اهتماماً خاصاً بأمور يمكنهم تحصيل قسط من المعرفة بها ، وبجهود محدود ، وبخاصة :

▪ الحذر من رواية الأحاديث الضعيفة والموضوعة ، فضلاً عن الاعتماد عليها في التنظير

والفتوى .

▪ العناية بأحكام ترتيل القرآن الكريم بحيث يحصل الداعية معرفة بأصول جامعة لآداب

التلاوة .

▪ العناية بفقہ العبادات والعادات ، وبذلك يتحقق الاتباع بمعرفة الدليل .

ولن يضر هؤلاء وجود من يهتم بمسائل تتعلق بالعقيدة أو العبادة أو العادة ، يحققون فيها القول بالاعتماد على الدليل الأقوى ، ويحذرون من أخطاء تحدرت إلى عصرنا من الماضي . فهذا التنوع في الاهتمام يكمل بعضه بعضاً ، ويجب أن ينعم الجميع بالاحترام لما يقدمونه .

٣- ويجب على الذين يسر الله تعالى لهم معرفة ما بأحكام العبادات ، وملكوا قدرة ما على التمييز بين السنة والبدعة ، أن يهتموا بالقضايا الكبرى المعاصرة التي تؤثر في فكر الأمة وعقيدها وتشريعاتها وأخلاقها ، وحاضرها ومستقبلها ، وهذا الاهتمام سيشرعهم بالأخطار الجسيمة الرهيبة ، الموجودة والقادمة ، ويسر لهم شمولية الرؤية وتوازن الاهتمام .

ونحن على يقين بأن هذه الأصول الضابطة للمعرفة ستوفر لدى من يأخذ بها قدرة طيبة على إنزال كل مسألة شرعية في مكانها المناسب ، وعلى حسن التعامل مع الرأي الاجتهادي داخل الصف الإسلامي ، وعلى تقليص نقاط الخلاف بين العاملين .



ليس من البر الصيام في السفر

بدأ الأستاذ جلسة التفسير الأسبوعية قائلاً : لم يبق إلا بضعة أيام على استقبال هلال رمضان ، لذلك آثرت أن يكون درسنا اليوم حول آيات الصوم الواردة في سورة البقرة ، ولكن قبل الدخول في الموضوع أحب أن أطرح عليكم السؤال الآتي : أيهما أفضل بالنسبة للمسافر ؛ الصيام أم الإفطار في رمضان ؟

فأجاب عامة الحاضرين : الصوم أفضل يا أستاذ !

قال : وما الدليل ؟

فكان الجواب : قوله تعالى : ﴿ ... وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ... ﴾ [البقرة:

تبسم الأستاذ وقال : لقد ذكرتم يا إخواني ما هو مشهور عند الناس ، فأعينوني بحسن الإنصات لنرى هل هذا صحيح أم لا ؟

أولاً : دلت الآية ١٨٣ من سورة البقرة على فرضية الصيام : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾

ثانياً : وفصلت الآية ١٨٤ في حالات الصائمين :

▪ فرخصت في الفطر مع القضاء للمريض والمسافر : ﴿ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ... ﴾ .

▪ وبينت أن القادرين على الصيام مخيرون بين الصيام وبين الإفطار مع الفدية : ﴿ ... وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ... ﴾ إذا اختاروا الإفطار . فمن أطعم أكثر من مسكين فهو خير له : ﴿ ... فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ ... ﴾ . وجاء التوجيه الرباني مبيناً أن صوم القادرين على الصيام خير من الفدية : ﴿ ... وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ .

فالآية ١٨٤ تتحدث عن أحكام المرحلة الأولى من تشريع صيام شهر رمضان:

ثالثاً : ثم جاءت الآية ١٨٥ فعدلت بعض ما جاء في الآية ١٨٤ :

١- نسخت كون القادرين مخيرين بين الصوم أو الإفطار مع الفدية : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ... ﴾ .
عَنْ سَلَمَةَ بِنِ الْأَكْوَعِ رضي الله عنه قَالَ : « لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ : ﴿ ... وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ... ﴾ كَانَ مَنْ أَرَادَ أَنْ يُفْطِرَ وَيُقْتَدِيَ [فعل] حَتَّى نَزَلَتْ الْآيَةُ الَّتِي بَعْدَهَا فَنَسَخَتْهَا » [رواه الستة إلا ابن ماجه] ، وفي رواية عنه عند مسلم قال : « كُنَّا فِي رَمَضَانَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، مَنْ شَاءَ صَامَ وَمَنْ شَاءَ أَفْطَرَ فَأَفْطَرَ فَاقْتَدَى بِطَعَامِ مِسْكِينٍ ، حَتَّى أُنزِلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ : ﴿ ... فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ... ﴾ » .

٢- وبقي حكم ﴿ ... فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ... ﴾ خاصاً بكبار السن الذين لا يستطيعون الصيام . روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى : ﴿ ... وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ... ﴾ أنه قال : (ليست بمنسوخة ، هي للكبير الذي لا يستطيع الصوم) ، وروى

أبو داود وغيره عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : (أَمَّا أَحْوَالُ الصِّيَامِ ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدِمَ الْمَدِينَةَ ؛ فَجَعَلَ يَصُومُ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، وَصَامَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ ، ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فَرَضَ عَلَيْهِ الصِّيَامَ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ ... ﴾ إلى هذه الآية : ﴿ ... وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامَ مِسْكِينٍ ... ﴾ قَالَ : فَكَانَ مَنْ شَاءَ صَامَ ، وَمَنْ شَاءَ أَطْعَمَ مِسْكِينًا فَاجْزَأَ ذَلِكَ عَنْهُ ، ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْزَلَ الْآيَةَ الْأُخْرَى : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ ... ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ ... فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ... ﴾ ؛ فَأَثَبَتَ اللَّهُ صِيَامَهُ عَلَى الْمُقِيمِ الصَّحِيحِ ، وَرَخَّصَ فِيهِ لِلْمَرِيضِ وَالْمُسَافِرِ ، وَتَبَّتِ الْإِطْعَامَ لِلْكَبِيرِ الَّذِي لَا يَسْتَطِيعُ الصِّيَامَ (..). ويلحق بمن عجز عن الصيام من كبار السن : الحامل والمرضع إذا خافتا على أولادهما فيجوز لهما الإفطار والفدية . وقد صحت بهذا الآثار .

٣- وأبقت الآية ١٨٥ حكم الصوم بالنسبة للمريض والمسافر : ﴿ ... وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ... ﴾ . وقد جاءت الأحاديث مصرحة بأن الصيام في السفر جائز لمن وجد في نفسه قوة : روى مسلم والنسائي عن حمزة بن عمرو الأسلمي رضي الله عنه أنه قال : « يَا رَسُولَ اللَّهِ ! أَجِدُ بِي قُوَّةً عَلَى الصِّيَامِ فِي السَّفَرِ ، فَهَلْ عَلَيَّ جُنَاحٌ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : هِيَ رُخْصَةٌ مِنَ اللَّهِ ، فَمَنْ أَخَذَ بِهَا فَحَسَنٌ ، وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَصُومَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ » ، وروى البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها أن حمزة بن عمرو الأسلمي قال للنبي ﷺ : أَصُومُ فِي السَّفَرِ ؟ قَالَ ﷺ : « إِنْ شِئْتَ فَصُمْ ، وَإِنْ شِئْتَ فَأَفْطِرْ » .

فالصيام في السفر ليس عزيمة والفطر رخصة ، وقوله تعالى : ﴿ ... وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ ... ﴾ لا علاقة له بأحكام الصيام في السفر ، فلا يستدل به على أن الصيام في السفر خير من الإفطار . بل ثبت في السنة أن رسول الله ﷺ قال : « لَيْسَ مِنَ الْبِرِّ الصِّيَامُ فِي السَّفَرِ » . فقد روى البخاري ومسلم عن جابر بن عبد الله قال : « كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي سَفَرٍ ، فَرَأَى زِحَامًا وَرَجُلًا قَدْ ظَلَلَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ ﷺ : مَا هَذَا ؟ فَقَالُوا : صَائِمٌ ، فَقَالَ ﷺ : لَيْسَ مِنَ الْبِرِّ الصِّيَامُ فِي السَّفَرِ » .



تأملت في كلام الأستاذ المفسر فوجدته بسيطاً ولكنه عميق في توجيهه ، لقد بدأ درسه بسؤال فهمت منه أن هناك معلومات غير دقيقة تتحرك بين الناس فتؤثر على فهمهم وأعمالهم .

وأن عليهم أن يسعوا سعياً حثيثاً مستمراً إلى رفع مستوى المعرفة ، إذا أرادوا قوة في بصيرتهم واستقامة في ممارساتهم .

وتذكرت أن كثيراً من الناس إنما يحصلون معلوماتهم عن طريق السمع ، ولا يبذلون جهداً يذكر في تحصيل العلم ، وتذكرت أيضاً القصص التي يتناقلها كثير من الناس ، وكأنها نصوص أو مفسرة للقرآن والسنة ، ومن ذلك -على سبيل المثال- قصة المرأة التي لا تتكلم إلا بالقرآن ، وفيها أنها سئلت كيف تصوم في السفر؟! . فأجابت بقوله تعالى : ﴿ ... وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ ... ﴾ !! .

فهل يستوعب تيار التجديد الإسلامي هذا الدرس البليغ ؟



النافلة ليست فرضاً !

في مجلس ضمّ مجموعة من الشباب المسلم ، المتطلع إلى تجديد الإسلام العظيم في حياة المسلمين ، تحدث أحدهم بحماس كبير منتقداً إخوة يقيمون في أوروبا ، ويعملون في إدارة مؤسسة إسلامية تضم مسجداً ، فغمز بهم وقلل من شأنهم ذاكراً -على سبيل المثال- أنهم يبقون يوم الجمعة في الإدارة ، ولا يدخلون المسجد إلاّ عند صعود الخطيب على المنبر ، مع أن الشرع يحض على التبكير إلى المسجد يوم الجمعة !!

ثم كان حوار حول ما ذكره الأخ في نقده ، وكان لا بدّ أن أشارك في الكلام ، فقلت :

ألستم معي في أنه ينبغي أن تكون أحكام المسلم وعواطفه منضبطة بشرع الله عزّ وجلّ ، عندما يتكلم منتقداً إخوانه أو غيرهم ، وأنه إن لم يفعل ذلك كان ظالماً ؟

بادر الشاب قائلاً : كلامك صحيح ، فهل فيما قلته ما يخالف هذا الذي تقول؟!!

قلت : دعونا نذكر بعض الضوابط الشرعية في مثل الحالة التي نتحدث عنها :

أولاً : المهم في باب العمل بالمأمور به أن يلتزم المسلم بما افترض الله عليه ، وهذا ما يُسأل عنه يوم القيامة ، فإذا ترك مسلم فرضاً ، فقد وجب الإنكار عليه وأمره بالمعروف . فإن تاب فقد أحسن ، وإذا أصر كان مسيئاً . وعندئذٍ يتعين التصرف نحوه بما يصلحه . والأصل في الشرع أن يستر الطائع العاصي وينصحه ، وأن لا يتحدث أمام الناس بمعاصي الآخرين المستورة عن الأعين ، إلاّ لضرورة وفي حدودها .

ثانياً : الأولى أن يعمل المسلم -بعد الفريضة- بما حضّ عليه الشرع من فضائل الأعمال ، وأعني بالفضائل : تلك الأعمال التي يثاب فاعلها ولا يعاقب تاركها ، كالتبكير إلى صلاة الجمعة ، وصلاة الضحى ، وقيام الليل . فهذه إن فعلها المسلم أحسن إلى نفسه ، وإن لم يفعلها -بصرف النظر عن سبب الترك- فليس جائزاً أن ننظر إليه بقلوبنا ، أي بيننا وبين أنفسنا ، على أنه تعدى حدود الله عزّ وجلّ ، ولا يصح أن ننكر عليه ترك فضيلة وكأنه ارتكب معصية ، ودورنا ينحصر في الترغيب بفعل النوافل التي دعانا الشرع إلينا .

وهذا الشرطان يدلان على وجوب طلب العلم الشرعي ، وفق منهج يضع الأمور في نصابها ، وهذا وحده لا يكفي ، إذ لا بد من أن نتعلم الأخلاق العملية ، التي تساعدنا على الالتزام بالموقف الشرعي من كل مسألة يتركها مسلم ، بمعنى : لا يصح أن نضع نافلة في مقام فرض ، أو نجعل فرضاً في مستوى نافلة .

قال الشاب : هذا كلام لا غبار عليه ، فقل لي -أحسن الله إليك- كيف يكون التصرف مع إخوة يتركون الفضائل ؟

قلت : إن تارك النافلة واحد من ثلاثة : جاهل بها ، أو عالم بها هابط المهمة ، أو عالم بها يرى أن فعله لأمر آخر مشروع -عند التعارض في الوقت- أفضل من النافلة .

■ أما الجاهل .. فنبذل له العلم ، ولنا ثواب معلم الناس الخير .
■ وأما المقصر من غير سبب .. فترغبه بثواب النافلة ، ولنا ثواب المذكر . ولا نتجاوز هذا الموقف .

■ وأما الذي قدّم عملاً مشروعاً على النافلة عند التعارض .. فنذاكره الرأي ، ولنا ثواب المذاكر ، الذي قد يساعد إخوانه على فقه عملي أفضل ، أو يتعلم منهم كيف يكون التصرف

السليم عند اجتماع الأعمال الصالحة في وقت لا يسمح بفعالها جميعها . وأرى أن الذين تتحدث عنهم من هذا الفريق .

المهم أن لا يدخل إلى القلب شيء يُسقط قيمة مسلم ؛ يجتنب كبائر الإثم والفواحش ، و يقيم فرائض الإسلام . لأن الشعور بضعف قيمة المسلم ، بسبب تركه نافلة ، قد يؤدي إلى الاستخفاف بكرامته ، وهذا الاستخفاف ربما قاد إلى غيبة وتشويه سمعة وهتان . وهذا كله ينضاف إلى الخطأ الأكبر في سلسلة هذه الأخطاء ، ألا وهو :

إيهام قلبي المعرفة والبسطاء ، أن النافلة بمنزلة الفريضة عند الله عز وجل ، وهذا خطأ فاحش ربما أدخل صاحبه في معنى قول الله عز وجل :

﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [التوبة : ٣٣] .



لا تكذبوا على الله !

حضرت لقاء دار فيه نقاش حاد بين أخوين يتهم أحدهما الآخر بـ (مولاة الكفار) .

قال المتهم : ما دليك على دعواك ؟!

قال المدعي : ألم تقل لجارتك غير المسلمة : سأغيب عن البيت يوماً ، وأرجو أن تعتني بزوجتي ، فإذا احتاجت إلى شيء ، فأمل أن تلقى منك العون ؟!

قال المتهم : نعم ، ولكن زوجتي عاقلة ، وهذه الجارة أرملة وعندها بنتان في سن الشباب ، وما فعلته إنما هو من حسن التعامل مع الجيران ، فأنا أساعدهم في أمور كثيرة ، وبين أسرتي وهذه الأسرة احترام متبادل على الرغم من اختلاف الدين .

قال المدعي : أما تعلم أنك حين طلبت من جارتك أن تهم بزوجتك قد جعلت كافرة ولية أمر زوجتك ؟!

قال المتهم : لم أصل بعد إلى هذا المستوى من الفهم !، فزوجتي مستقلة في تصرفاتها ، وكل ما في الأمر هو أنني لفت انتباه الجارة إلى المساعدة عند الحاجة . وإذا كان هذا فهمك للعلاقة مع غير المسلمين ، فعليك أن تجمع أمتعتك وترحل من أوروبا ، لأن قدومك إليها يتضمن عهداً بأن الحكومة هي ولية الأمر في هذه البلاد !! .

لم يقبل المدعي كلام المتهم ، وقابله بالسخرية ، وهنا تدخل أحد الحاضرين فقال : لقد علمنا ما حدث بين (فلان) وجارته غير المسلمة ، فهلا تفضل المعترض عليه بذكر الدليل الشرعي الذي يبين حكم الله تعالى في هذه الواقعة ؟

فأجاب المدعي : لا أرى فائدة من ذكر الأدلة إذا كانا سنختلف في فهمها .

قال السائل : ولم تفترض الاختلاف قبل إيراد الدليل؟! ؛ فإن كان الدليل قطعي الدلالة كانت حجتك بالغة ، وإن كان ظني الدلالة فإنه يلزمك أن ترجح بين أقوال أهل العلم بمرجح ، وإن كانت أوهامك وتخيلاتك -بصرف النظر عن بواعثها وأسبابها- قد تسلطت على النص الشرعي لتفرض ما يتراءى لك على أن الدليل ينص عليه ، فإننا في حلٍ من الحوار معك ، لأنه عندئذٍ مراء .

غضب المدعي وقال : إن النصوص التي تحرم اتخاذ الكافرين أولياء كثيرة معلومة ، منها قول الله عزَّ وجلَّ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمُودَّةِ ... ﴾ .

قال السائل : هذه الآية لا تدل على ما تدعيه ، لأنها تتحدث عن حالة (حرب) ، ثم إن اتخاذ الذين يحاربون الله والذين آمنوا أولياء يعني : تزويدهم بأسرار المسلمين ، والتجسس عليهم لحساب المعتدين ، ولا ينهى الإسلام عن حسن المعاملة والتعامل بالقسط مع غير المسلمين ، ويدل على ذلك سياق الآية التي ذكرتها وما جاء بعدها ؛ وأرجو أن تتدبر قول الله عزَّ وجلَّ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمُودَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمُودَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ [المتحنة : ١] وقوله تعالى في السورة نفسها بعد الحديث عن المواجهة ومتطلباتها : ﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ

وَتُقْسَطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسَطِينَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يَنْهَاكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ
وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ
الظَّالِمُونَ ﴿٩١﴾ [الممتحنة: ٨-٩] .

ابتسم المدعي ابتسامة استغراب وقال : لقد قلت لكم إننا سنختلف في إدراك معاني
الدليل ، ولا سبيل إلى إقناع المتشبهين بأرائهم المدافعين عن أخطائهم !

قال السائل : ألا ترى أنك أعطيت نفسك حق الفهم ومنعته غيرك ، وسمحت لنفسك
بتأثير أخيك وتجريمه بغير دليل يصح الاعتماد عليه؟! . وبما أنك لست من أهل العلم ، فأرجو أن
تذكر لنا أين قرأت هذا الذي تدعيه في هذه المسألة؟

قال المدعي : اقرأ إن شئت في كتب التفسير !

فقال السائل : وأين نجد ما ذكرته في كتب التفسير؟!!

فرجع المدعي إلى القول : لقد ذكرت لكم الدليل من القرآن ولم تقتنعوا ، فهل ستقتنعون
بقول مفسر؟!!

قال السائل : إن أمرك غريب ! ، فكيف نصل إلى معرفة حكم الشرع في القضية موضوع
الحديث؟! .

أجاب المدعي : اسألوا أهل العلم !

فقال السائل : ولم لا تسأل أنت حتى تتأكد من صحة معلوماتك قبل الهجوم على
إخوانك بهذه الطريقة المؤذية؟!!

انفعل المدعي وقال : وماذا سيكون موقفك ، وموقف صاحبك ، إذا كان ما فعله
حراماً؟!!

أجاب السائل : أما أنا فأتعلم هذه المسألة ، وأما (فلان) فعليه ألا يرجع إلى ما فعله ثانية
ويستغفر الله تعالى . بقي أن نعرف موقفك أنت إذا تبين أن ما ظهر لك أنه حرام ليس حراماً؟!!

قال المدعي : لا شيء .. أتعلم !

فقال السائل : ألم تنتبه إلى الفرق بينك وبين (فلان)؟! لقد صنع ما صنع لأنه لا يعلم أن

ما قام به محذور - وهذا إذا كان الحكم كذلك - أما أنت فتدعي أنك تنقل عن الله تعالى حكماً في
حادثة ، وهنا أجد نفسي مضطراً إلى توضيح مجموعة محاذير وقعت فيها :

١- لقد سمحت لنفسك -على الرغم من محدودية علمك- بأن تحكم على أخيك بالخطأ
وليس لديك دليل واضح على الأقل .

٢- وارتكبت خطأ بإساءتك الظن بإخوانك حين أشرت مراراً إلى رفضهم المسبق لما
تقول : إنه دليل !! .

٣- وأسأت حين طرحت هذا الموضوع أمام مجموعة من الناس ، وكان الأولى- إن كانت
لديك نصيحة بدليلها- أن تكون بينك وبين أخيك سرا . لأن معظم الحاضرين غير مؤهلين لتصور
الحكم الشرعي المستنبط من الدليل وإنزاله على الحادثة محل النزاع ، وهذا يبلبل العلاقات ويترك
في النفوس بقايا لا تحمد عاقبتها .



لقد سقت هذه القصة التي شهدتها منذ سنوات لأنبه إلى خطورة التسرع في الحكم على
أعمال الآخرين ، لأنه ينطوي على مخالفات شرعية كثيرة منها : سوء الظن بالمسلمين ، والتطاول
على كراماتهم ، وإشاعة فقه الغيرة المفتقرة إلى علم متين .. وأشدّها خطورة : احتمال الوقوع في
الكذب على الله تعالى أو على رسوله ﷺ ، فالقول بغير علم قرين الشرك .

ولنا درس بليغ فيما وقع فيه الخوارج ، الذين كانوا يرون أن القرآن ينص على ما
يزعمون ، وكانوا يكثرّون من إيراد الآيات ، ومع ذلك فقد كان ابن عمر يراهم شرار الخلق ،
لماذا ؟ لأنهم جاؤوا إلى آيات نزلت في الكافرين فجعلوها في المؤمنين ، وكانوا يتوهمون أن الذي
يرد فهمهم ويرفضه إنما يرد كلام الله عزّ وجلّ !!

فيا معشر الدعاة .. والشباب .. تريثوا في الحكم على ما يقوم به إخوانكم ، ولا تتسرعوا
في الحكم ، واجتنبوا الكلام الجارح ، واعلموا أن القلوب مزارع فازرعوا فيها طيب الكلام ،
واحملوا أنفسكم على حسن الفهم ، وحسن التعامل مع المخالفين ، فإن في ذلك خيراً لكم
وللمسلمين وللناس أجمعين .

وليخشى الذين يتسرعون في إصدار الأحكام من غير بصيرة كافية أن يدخلوا في معنى قول
الله عزّ وجلّ :

﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٣] .



سأل سائل

سأل سائل : هل صحيح أن من لا شيخ له فشيخه الشيطان!؟

فكان الجواب : إن كنت تقصد بالشيخ (المرجع العلمي) فالكلام سليم ، لأن الذي لا يملك قدرة على معرفة الحق من الباطل ، والحلال من الحرام ، والصواب من الخطأ ، فعليه أن يرجع إلى مصدر علمي يرى من خلال علمه حكم الشرع ، فإذا لم يكن المرء عالماً ، ولم يرجع إلى علم عالم قبل الإقبال على العمل ، فإنه يتحرك بجهل ، وهذا من الشيطان . وإلى هذه المعاني يرشدنا قول ربنا الكريم : ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ... ﴾ [النحل: ٤٣] .

ثم اسمع ما قاله إمام التابعين الحسن البصري رحمه الله تعالى : (العامل على غير علم كالسالك على غير طريق ، والعامل على غير علم ما يفسد أكثر مما يصلح ، فاطلبوا العلم طلباً لا تضروا بالعبادة - يقصد : العمل - واطلبوا العبادة طلباً لا تضروا بالعلم ، فإن قوماً طلبوا العبادة وتركوا العلم حتى خرجوا بأسياهم على أمة محمد ﷺ ! ، ولو طلبوا العلم لم يدهم على ما فعلوا) [مفتاح دار السعادة: ١/٨٣] .

أما إذا كنت تقصد بالشيخ (بيعة شيخ الطريقة الصوفية) فهذا الفهم غير سليم ، لأن المعاني التي يحملها بفعل قرون الجهل والتخلف تلغي العقول وتنأى عن العلم الرباني .



وسأل سائل : ما قولكم دام فضلكم في قول القائل :

قلوبُ العارفين لها عيونٌ ترى ما لا يراه الناظرون!؟

فكان الجواب : إذا كنت تقصد بالعارفين (أهل الاختصاص بالشرع) فهذا صحيح ، وقد بين لنا ربنا عزَّ وجلَّ ذلك بقوله : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا

يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿ [الزمر: ٩] . بل إننا نرى ذلك في المختصين في فنون الحياة المتنوعة . فالعارف بالنجارة يرى ما لا يراه إنسان غير نجار ، والعارف بالهندسة يرى ما لا يراه غير المختص بها ، وقل مثل هذا في كل أمر يتطلب اختصاصاً . يضاف إلى ذلك تعدد مستويات المعرفة ضمن دائرة المختصين . فكلما ازداد المرء معرفة وكان قادراً على ربطها بواقع الناس وحاجاتهم كان أكثر قدرة من غيره على استنباط الرأي الأقوى والتصرف الأسلم . يقول معاذ بن جبل رضي الله عنه : (عليكم بالعلم فإن طلبه لله عبادة ، ومعرفة خشية ، والبحث عنه جهاد ، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة ، ومذاكرته تسييح . به يُعرف الله ويُعبد ، وبه يُمجّد الله ويُوحّد ، يرفع الله بالعلم أقواماً يجعلهم للناس قادة وأئمة يهتدون بهم وينتهون إلى رأيهم) [مجموع الفتاوى: ٣٩/١٠] .

أما إذا أردت بالعارفين أن هناك ناساً يحصلون بالمجاهدة للنفس وذكر الله تعالى معرفة تكشف لهم أستار الغيب ، وتطلعهم على قلوب الناس ، فهذا المعنى مرفوض ، لأنه يحمل في طياته الدعوة إلى الخنوع واتباع أديعاء المعرفة ، فضلاً عن تصادمه مع النصوص القطعية التي تحصر علم الغيب بالخالق سبحانه وتعالى .



وسأل سائل : ما سر تكراركم لمضمون قول الشاعر :

وكلُّ من بغير علم يعملُ أعماله مردودةٌ لا تُقبلُ

فكان الجواب : يقول ابن القيم رحمه الله تعالى : (العلم إمام العمل وقائده ، والعمل تابع له ومؤتم به ، فكل عمل لا يكون خلف العلم مقتدياً به ، فهو غير نافع لصاحبه بل مضرة عليه ، كما قال بعض السلف : من عبد الله بغير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح . والأعمال إنما تتفاوت في القبول والرد بحسب موافقتها للعلم ومخالفتها له ، فالعمل الموافق للعلم هو المقبول ، والمخالف له هو المردود ، فالعلم هو الميزان وهو المحك) [مفتاح دار السعادة: ١/٨٢] .

وهذا الذي قاله ابن القيم متفق عليه بين عقلاء البشر ، ألا ترى أنهم ينكرون كل عمل لا يقوم على علم ، ولذلك يولون الاختصاص عناية فائقة ، ويحصلون من ذلك على نتائج باهرة ، وقد آن للمسلمين أن يدركوا ما قاله ابن القيم: (قال بعض السلف : ما من فعلة - وإن صغرت - إلا يُنشر لها ديوانان : لم ؟ وكيف ؟ ؛ أي : لم فعلت ؟ ، وكيف فعلت ؟ :

فالأول : سؤال عن علة الفعل وباعثه وداعيه : هل هو حظ عاجل من حظوظ العامل ،

وغرض من أغراض الدنيا في محبة المدح من الناس أو خوف ذمهم ، أو استجلاب محبوب عاجل ، أو دفع مكروه آجل ؟ أم الباعث على الفعل القيام بحق العبودية ، وطلب التودد والتقرب إلى الرب سبحانه وتعالى ، وابتغاء الوسيلة إليه ؟ ..

والثاني : سؤال عن متابعة الرسول ﷺ في ذلك التعبد ، أي : هل كان ذلك العمل بما شرعته لك على لسان رسولي ؟ أم كان عملاً لم أشرعه ولم أرضه ؟

فالأول سؤال عن الإخلاص ، والثاني عن المتابعة ، فإن الله سبحانه لا يقبل عملاً إلا بهما (إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان: ١/٨) .



المسلم حر ومحرر

يهل على المسلمين رمضان عاماً بعد عام ليذكرهم بأنهم أمة القرآن : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ... ﴾ [البقرة: ١٨٥]

ورمضان في كل عام يزود المسلمين بالمعاني الداعمة للمناعة والمقاومة لحملات الاجتياح (الثقافي-الاقتصادي-الاجتماعي-السياسي) التي يشنها دهاقنة الغرب متوسلين بمنظومة أفكار وقيم وواقع مادي ؛ ييهز العيون ، ويأخذ بألباب ذوي النظرة القاصرة والتكوين الفكري الهش ، ومستخدمة آلات حرب فتاكة مهلكة للحرث والنسل تحاول من خلالها تركيع من يبدي رفضاً ومقاومة لأفكار الفراعنة والقوارين العالميين والمحليين الذين يرفعون شعارات مضمونها ﴿ ... مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾ [غافر: ٢٩] .

يأتي رمضان ليذكر المسلمين بالتوحيد الراض لأصنام الوثنية التي تحافظ على مضمونها وتتفنن في الصور الخادعة ، فإذا كشف المسلم بنور التوحيد ظلمات الوثنية الجديدة التي تسحر بها الفكرة الغربية أعين الناس ، فإنه يتحرر من الضلال ويتمسك بالحق المبين : ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٦﴾ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ

كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿البقرة: ٢٥٧-٢٥٨﴾ .

هؤلاء المستبصرون هم سراج الهداية للمسلمين ، وهم بلسم جراح الإنسانية المعذبة التي يسوقها الجشع والاستغلال والنهب بالترغيب والترهيب إلى المهالك ، وعلى هؤلاء المعول في إخراج الناس-على مدار التاريخ- من عبادة الأوثان إلى عبادة الله وحده ، ومن جور أديان البشر إلى عدل الإسلام ، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة .

ولن يقبل أصحاب المصالح المادية والسياسية بوجود فكر محرر ، وإرادة واعية أو عزيمة ماضية ، فإذا أحسوا بوجود الأحرار فإنهم يسارعون إلى وسائلهم الرهيبة ويشنون حرباً إعلامية نفسية ترمي إلى محاصرة (فكرة تحرير الإنسان) الذين يحملون هموم الإنسانية المعذبة في مراحل هيمنة شياطين الإنس على مقاليد الأمور محلياً وعالمياً . وإذا لم تفلح وسائل التشويه والتنفير في تحجيم دعاة الخير ، فإن الفراعنة-بتحريض من أرباب المصالح- يمدون أيديهم بالسوء إلى الراغبين في الانعتاق من قيود عبودية الطاغوت .

إن هذه الحقيقة تتكرر على مدار التاريخ .. وهذا ما ينبغي أن تفقهه قلوب المسلمين . فإن أدركوا هذه الحقائق فلن تصيبهم جرثومة الخوف ﴿ ... فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [التوبة: ١٣] ولن ينال منهم وباء اليأس وهم يواجهون الطغيان ﴿ ... إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾ [يوسف: ٨٧] ، وهذا الذي يرشحهم لتحرير أنفسهم وتحرير الذين سحرهم الطاغوت واسترهبهم بسحره الرهيب ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾ [السجدة: ٢٤] .

إن واقع المسلمين يقول :حين ضعفت مناعة أمة الإسلام هاجمتها جرائم من داخل حدودها ومن خارجها .. وكانت جرثومة الفكرة الغربية أفتك أنواع الجرائم .. لأنها طرحت نظرة إلى الإنسان وغاية وجوده وكيف يحقق هذا الوجود .. ورفعت شعارات جميلة براءة .. ولكن عندما نسقطها على الواقع ؛ فإننا نجد أنها تخدم أوضاعاً معينة ، وتحول الناس جميعهم إلى عبيد ، وتضع في أيدي الطغاة ثروات الشعوب ، وتفرض على من يعيش خارج دائرتها تخلفاً فظيلاً . بل إن أصحاب القرار الغربي يرون أن من حقهم التدخل في كل مكان من الأرض بالقوة المسلحة لكي يحافظوا على مصالحهم من غير أن يهتموا بمصالح المالكين الحقيقيين للثروات . فإن استطاعوا

أن يوجدوا مبرراً ظاهرياً للتدخل كان به ، وإلا فيأثم يخلعون أقنعة الإنسانية عن وجوههم .

ونظرة متأنية إلى واقع المسلمين تُري كل صاحب بصيرة أن قوى الجشع الغربية .. وبخاصة في أمريكا .. تتصرف في شؤون بلاد المسلمين كما يتصرف الأسياد .. وأن قيود الحرير التي يستخدمها ساسة الغرب لا تغير من حقيقة كونها قيوداً ..

في هذا الوضع المأسوي إذا قام من ينادي بـ (الحرية) و (حق تقرير المصير) و (التمتع بحقوق الإنسان) فإن الغضب يحل على من يعمل لتحويل تلك الشعارات -وغيرها- إلى واقع ملموس !!

وأضرب مثلاً بالقوقاز .. وفلسطين .. وبالخليج .. فهذه المناطق المشتعلة ماذا تقول ؟ . إنها تقول ببساطة : ارحلوا عن أرضنا ، وكفوا عن نهب ثرواتنا ، واتركونا نختار نظام حياتنا الذي يحقق لنا ذاتيتنا ومصالحنا .

فما هو الجواب : (أصوليون) ، (متشددون) ، (إرهابيون) ، (خطر على الإنسانية) .. الخ . ويا ليتهم اكتفوا بهذه الحرب الإعلامية .. بل إنهم يرسلون من ترسانتهم بأسلحة دمار شامل ورهيب .. فيعتقلون .. ويهدمون .. ويستبيحون الحرمات .. إلى أن يعترف المطالبون بالحرية أنهم كانوا مخطئين !!

إن رمضان مناسبة لتجديد العهد مع الله عزَّ وجلَّ على التوبة النصوح ، وهي توبة تشمل : السعي إلى تنمية المعرفة بالإسلام العظيم ، وبواقع المسلمين والعالم ، وصبغ الحياة بمقتضيات العبودية الصادقة لله عزَّ وجلَّ ، وحمل راية تحرير البشر أجمعين من هيمنة الفراعنة ، ومخططات القوارين ، فإذا آمنا وعملنا فإننا نحسن إلى أنفسنا وإلى الناس .. ونفوز بنصر الله وتأييده .. وإذا تخاذلنا حلت بنا النكبات في الدنيا ، وربما كنا يوم القيامة من الخاسرين : ﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴾ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿ [غافر: ٥١-٥٢] .



من يبني الحاضر ويهيئ للمستقبل ؟

قال صاحبي : لقد حزَّ في قلبي (وهنُّ العزيمة) الذي استشرى في حياة قطاع كبير من أبناء التيار الإسلامي .. فما هي الأسباب يا ترى ؟

قلت : وما تعني بوهن العزيمة ؟

قال : أعني تلك الحالة النفسية التي تجسّد في حياة كثيرين قول الشاعر :

كلما ناديتني : هيا بنا ! قلتُ : هيا ! ، وأنا في موضعي

بعد أن كانت قلوب عامتهم متخلّقة بقول القائل :

إذا القوم قالوا : مَنْ فتيّ؟ خلتُ أني عُيتُ فلم أجبن ولم أتبلّد

قلت : هلاً ضربت مثلاً يوضح مرادك ؟

قال : إذا دعوت عشرة أفراد أعضاء في مؤسسة أو جماعة إسلامية إلى لقاء متفق عليه ، من أجل البحث في موضوع يعود عليهم وعلى الناس بالخير ، فإن نصف المدعوين قد يلبي الدعوة ، والنصف الآخر لا يحضر ، وقد يعنُّ لبعض المتقاعسين أن يتصلوا مبدين أسفهم لعدم تمكنهم من المشاركة !! ، وهناك من يتغيب ولا يشعر أنه أحلَّ بخلق الوفاء . فإذا دققنا النظر في الأسباب المانعة لهؤلاء المتغييبين من الحضور .. فإننا نُصدم حين نكتشف أن معظمهم يتعلل بما لا يصح أن يكون شبه عذر !! . أما الذين لبوا الدعوة فإن معظمهم يأتي بنفسية (تسجيل الحضور) وليست لديهم نية الاستفادة والعمل الإيجابي .. وتكون نتيجة هذا اللقاء باهتة مؤسفة ، وتلقي في روع المجموعة (التسيّب) و (فقدان الشعور بالمسؤولية) و (الإحباط) .

قلت : وما أسباب هذه الظاهرة في نظرك ؟

قال : أرى أن الأسباب كثيرة .. ويلوح لي أنها تجتمع في ثلاثة أسباب :

الأول : حب الدنيا والإخلاق إلى الأرض ، إذ لا يخفى عليك أن معظم أبناء التيار الإسلامي قد أعلنوا التزامهم بتعاليم الإسلام وأهدافه في سن مبكرة ، فأعطوا العمل الإسلامي من أوقاتهم وراحتهم وإمكاناتهم .. فاستفادوا وأفادوا ، وبمرور الوقت دخل هؤلاء في علاقة مباشرة مع الدرهم والدينار ومع مؤسسات المجتمع .. فنالت الدنيا والروابط الاجتماعية من فئة منهم .. ففقد

معظمهم (التوازن) ولم يعد يحركهم ما يعلمونه من النصوص الداعية إلى العمل والبذل والتضحية .. إنهم يعلمون أن واقع الأمة والبشرية يناديهم بقول الله عزَّ وجلَّ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتَأْتُمْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ [التوبة: ٣٨-٣٩] ولكنهم لا يستشعرون المسؤولية ، ولا يشعرون أن التهديد الرباني موجه إليهم !! . فإذا تعارضت فئات المصالح ، أو تعارضت راحتهم أو علاقاتهم غير الهادفة ، مع واجب إسلامي .. تركوا الواجب ومالوا إلى الدنيا والراحة والعبث .

الثاني : ضعف القدرة على إدارة الوقت ، وهذه الآفة تصاب بها الأمم المتخلفة ، وبما أن التيار الإسلامي جزء من المسلمين المتخلفين فإن أفرادهم يحملون قسطاً من عوامل التخلف ، صحيح أن الحركة الإسلامية التجديدية قد حرَّكت معاني (الفاعلية) و(الإيجابية) ، وبعثت في الأمة (قيمة الوقت .. وتوزيعه بتوازن على الواجبات) .. ولكن تحويل هذه المعاني إلى واقع وسلوك ليس أمراً سهلاً المنال .. فإذا لم يستمر المرء في النمو المعرفي والسلوكي ، فإن مفاهيم البيئة المتخلفة هي التي تملأ الفراغات في نفسه .. ويظهر عندئذٍ عدم التوازن في : « إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا ، وَلِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا ، وَلِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا ، فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ » رواه البخاري . والمشكلة هي أن هؤلاء قد يشغلهم عنوان (حق النفس أو حق الأهل) عن بقية الحقوق ، ولذلك فإنهم لا يشعرون بالتقصير في حق الله تعالى وحق الناس .. إلخ .

الثالث : تدني القدرة على التكيف مع الواقع ، ويظهر هذا في مجالات كثيرة ، وأشير هنا إلى اثنين منها :

١- برزت الحركة الإسلامية المعاصرة في ظروف أقصى فيها الإسلام من مكانته في التشريع والحكم ، فكانت الدعوة إلى (الحكم بما أنزل الله تعالى) من أبرز ما نادى به الحركة الإسلامية ، وكان معظم العاملين مقتنعين أن الإصلاح يأتي من رأس الهرم (الحكم) ، وحين اصطدموا بواقع الأمة والأنظمة الحاكمة ، وأدركوا أن التغيير الذي يرومونه من خلال (السلطة) بعيد بعيد .. لم يتمكن أكثرهم من إعادة قراءة الواقع واستنباط طريقة أخرى للتغيير والنهوض بالواجب .. وهذا العجز في إعادة القراءة دفعهم إلى العيش في اجتهاد مرحلة زمنية ، وفقدوا المرونة في التعامل

والتكيف مع الرؤية الجديدة .. وتحولوا إلى طاقات معطّلة .

٢- بدأت الحركة الإسلامية نشاطها بجيل شكّل جيل الرواد ، والذين استجابوا لهؤلاء من الأجيال اللاحقة شكل معظمهم (صدقات) استهلكت كثيراً من الأوقات ، ولم يتمكن عامة التيار الإسلامي من حسن التعامل مع الأجيال الشابة .. فحصلت القطيعة .. التي نراها (عجزاً في التعرف إلى الواجبات المناسبة للأجيال الجديدة) و (هروباً إلى الأمام من مقتضيات الأبوة تجاه جيل الأبناء) .

والإشكالية هي أنك إذا تجاوزت هؤلاء الذين يشكون من وهن العزيمة حزنوا وشوشوا ، وإذا نصحتهم تألموا وتأففوا ، بل إن فيهم من يشهر لسان النقد الحاد دفاعاً عن تقصيره ، ولا يكتفي بعضهم بأن العمل الجماعي يحمله ويتحمّله ، بل يقف عند كل صغيرة وكبيرة معترضاً .. فهو لا يقدم جهداً ويعوّق جهود العاملين !!

قلت لصاحبي : لقد سألتني عن أسباب ظاهرة (وهن العزيمة) التي يعبر المصابون بها عن علتهم بـ (الهروب من الواجبات) و (التعلل بأسباب غير واقعية) و (إظهار المثالب من غير الشعور أنهم يساهمون في وجودها) .. وأراك مدركاً لأسباب كثيرة تقف وراء هذا الداء المجدد للطاقات والموهن للعمل المنتج !!

قال : لقد سألتُ لأزداد بالذاكرة معرفة ولعلنا نضع أيدينا على طريقة إيجابية في التعامل مع هذه المشكلة .

قلت : دعني أبرز أمرين لهما تأثير كبير في المعاناة من (وهن العزيمة) :

الأول : المخاوف التي تمكّن الفراعنة -بدعم من القوارين- من زرعها في حياة الناس

وهذا على المستوى المحلي وعلى المستوى الدولي .. وهذه المخاوف ظاهرة لا تحتاج إلى بيان .

الثاني : ضعف العقل عن صياغة صور للواجبات تتناسب مع ظروف الزمان والمكان ..

يصاحبه قوة في العاطفة لا حدود لها ، ولذلك كثرت التضحيات من غير أن تؤدي إلى نتائج إيجابية فأدى الإخفاق إلى وهن في العزيمة لدى التيار الإسلامي .. وصدق قول شوقي في وصف أمتنا :

إن الشجاعة في القلوب كثيرة ووجدتُ شجعانَ العقول قليلاً

قال صاحبي : فكيف نتعامل مع هذه المشكلة التي تربكنا في العمل ، وتنال من حماسة

العاملين الجادين .. فمرضى وهن العزيمة موجودون داخل نسيج مؤسساتنا وجماعاتنا ؟

قلت : قبل الكلام عن كيفية التعامل مع هذه المشكلة ، أود أن أقول : إن هذه الظاهرة

ليست بمستغربة على الصعيد الفردي أو الجماعي ، بمعنى أنها ممكنة الوقوع ، فقد بين لنا رسول الله

ﷺ أن المؤمن قد تمر به أيام يكون فيها نشيطاً إيجابياً معطاءً ، وقد تأتي عليه أيام تفتت فيها همته ،

فإذا حافظ في مرحلة خمول المهمة على سلوك قويم مقبول فقد فاز ، وإن استجاب لفتاوى النفس

فقد خسر ، يقول ﷺ : « **إِنَّ لِكُلِّ عَمَلٍ شِرَّةً ، وَلِكُلِّ شِرَّةٍ فَتْرَةٌ ؛ فَمَنْ كَانَتْ فَتْرَتُهُ إِلَى سُنَّتِي**

فَقَدْ اهْتَدَى ، وَمَنْ كَانَتْ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ فَقَدْ هَلَكَ » صحيح الجامع الصغير : ٢١٤٨ .

بعد هذه التوطئة أقول : يجب أن نفرق في التعامل مع مرضى وهن العزيمة بين أمرين :

① **حين يصاب مؤمن بتخامل الإيجابية والفاعلية ، بعد أن كان سابقاً إلى الخيرات ؛ فإنه**

ليس من الحكمة ولا الشهامة أن نتركه ونمضي ، لأنه في هذه الحالة (مريض) سواء كان سبب

المرض ضعفه الذاتي أم نالت منه سهام البيئة المحيطة ، وطريقة التعامل معه شبيهة بتلك التي نسلوها

حين يصاب عزيز على قلوبنا في بدنه .. وترتكز هذه المعاملة على : **الصبر ، وعبادة المريض ،**

وبذل كل ما في الوسع والطاقة من أجل البرء .. وإن طال الزمن .

وكما أن مريض البدن يشغل جزءاً من أوقاتنا وطاقتنا واهتمامنا .. ولكن لا يوقف عجلة

حياتنا وواجباتنا .. فكذلك ينبغي أن يكون تعاملنا مع المصاب بوهن العزيمة .

② **أما إذا ماتت إرادة الخير في نفس العامل فكبر عليه أربعاً وامض إلى العمل الإيجابي**

المنتج ، لأنك إذا وقفت مع جثة فإن تفسخها يفسد الجو ويجلب الأمراض .

ثم قلت لصاحبي : إن الذي يصنع الحاضر هم أولئك الذين يشعرون من أعماق قلوبهم أنهم

مسؤولون يوم القيامة عن واجباتهم تجاه أنفسهم ، وأسرهم ، والأقربين ، والمسلمين ، والناس

أجمعين . وينهضون بهمة وإرادة وتصميم إلى اكتشاف الواجبات الممكنة زماناً ومكاناً ، ويعملون

على إيجاد الصيغ العملية لهذه الواجبات ، وينزلون إلى ميدان البذل والعطاء ، ولا ينسون أنهم

مطالبون بتنمية علمهم وتطوير إمكاناتهم باستمرار .. وهؤلاء هم الذين ينهضون من الكبوات

البشرية : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ** ﴾

[الأعراف: ٢٠١] ، وينصرون الله تعالى في أنفسهم فينصرهم الله ويكتب على أيديهم الخير للناس :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ [محمد: ٧] .

فالذي يعمل في الحاضر على بصيرة هو الذي يهين خطوات مستقبلية جادة واعدة ..
فكن يا أخي المؤمن من هؤلاء المجاهدين ، وإياك ثم إياك أن تكون من المعرضين عن العمل
الطيب .. وتذكر دائماً قول الله تبارك وتعالى : ﴿ وَقُلْ اْعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ
وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [التوبة: ١٠٥] .
وأنت يا من تشكو من وهن عزيمتك .. راجع نفسك ، واشحذ همتك والتحق بركب
العاملين .. الغيورين على أنفسهم وعلى الناس .. فإنك إن فعلت ذلك أحسنت إلى نفسك
ياخارجها من الركود الآسن .. فالحركة ولو دُ والسكون عاقر .. ولا تنسَ حكمة تنسب إلى
الشافعي رحمه الله تعالى :

إني رأيتُ وقوفَ الماء يفسدهُ إن سال طاب وإن لم يجر لم يطبِ

وتذكر ما حيت قول الله تبارك وتعالى :

﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴾ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ
الظَّالِمِينَ مَعذِرَتُهُمْ ... ﴿ [غافر: ٥١-٥٢] .

فلا تظلم نفسك وإخوانك والناس يا أخي المؤمن !! .. وردد مع الأستاذ عصام العطار :

ويشرق الحقُّ في قلبي فلا ظلمٌ ويصدق العزمُ ، لا وهنٌ ولا سأمٌ
دربٌ سلكناه والرحمن غايتنا ما مسنا قطُّ في لأوائه ندمٌ
نمضي ونمضي وإن طال الطريقُ بنا وسال دمعٌ على أطرافه ودمٌ
يلو العذابُ وعينُ الله تَلحظنا ويعذبُ الموتُ والتشريدُ والألمُ



الوقت في حس المسلم

أنصتُ إلى خطيب الجمعة وهو يتحدث عن قيمة الوقت من الناحية الشرعية ، وعند مفكري الأمم الأخرى ، ويبيّن براءة أن الإنسان لا بد وأن يشغل وقته بعمل ما ، وأن المسلم مسؤول عن نوعية عمله ، وذكر بقول الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الحشر: ١٨] وقوله تعالى : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أَجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴾ [آل عمران : ١٨٥]

وأشار إلى ما ورد في هدي النبي ﷺ مثل : « لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعٍ .. » ومن جملتها : « عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ ؟ » رواه الدارمي .

فطاف بي ما سمعت في أرجاء الساحة الإسلامية على امتداد الأرض ، فاجتاحني حزن عظيم على الأوقات التي تُهدر ولا يشغلها القادرون بأعمال تبارك العمر وتزكي النفس وتنهض المسلمين . لقد تذكرت الواجبات التي يرونها بأبصارهم ، وتطرق آذانهم ، وتناديهم بقول الله عزَّ وجلَّ يحمل تهديداً ووعيداً تنخلع لهما القلوب الواعية : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [التوبة: ٣٨-٣٩] ، وقوله تعالى : ﴿ ... وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ... ﴾ [المائدة: ٢] ومع ذلك فإنهم لا يتحركون - كما ينبغي - باتجاه الواجبات الجماعية ..

وحتى لا يبقى هذا الكلام عاماً فإنني ذاكراً أموراً من واقع التجربة :

الإسلاميون والفضائيات :

جذبت الفضائيات العربية إلى برامجها المثيرة أعداداً كبيرة من أبناء الحركة الإسلامية وغيرهم ، وأنا لست من الذين يرفضون النظر في الفضائيات ، ولكنني أحذر من الإسراف في الجلوس إلى برامج تفتك بأوقاتنا ، وتسحبنا من واجباتنا ، ولا تزيدنا وعياً ولا إدراكاً ، ولا تولد

عندنا الشعور بالمسؤولية العملية .

وأضرب مثلاً صارخاً بانتفاضة الأقصى المبارك ، فمتابعة أخبارها والبرامج التي تتحدث عنها أمر حسن ، ولكن كيف نتعامل مع الأخبار ؟ وما هي البرامج التي نهتم بها ؟ ومتى ؟

أولاً : الأخبار مكرورة في معظمها ، ويكفي أن يستمع المرء إلى نشرة واحدة ليقف على ما يجري ، فتكرار الاستماع يولد شعوراً كاذباً ب (المتابعة) وتكون نتيجته استهلاك الوقت بما لا يفيد .

ثانياً : البرامج التي تتحدث عن قضية فلسطين ، وبخاصة الحوارية منها ، تثير قضايا ولا تحمل في ثناياها - في الأعم الغالب - معلومات تزيد المتابع لها بصيرة في تحديد مواقفه المبدئية من المسائل المطروحة ، بل ربما شوهدت موقفه الأصيل عن طريق ترسيب تراكمات سلبية مع الزمن !! ، وتكون النتيجة المباشرة لهذا الإقبال غير الواعي على برامج الإثارة ، أنها تشغل الوقت والفكر بقضايا تنأى بالمرء عن واجبات تحتاج إلى وقت ، وكم من عامل يتهرب من التزاماته ويعتذر لتعارض نشاطات مع برامج تلفزيونية ، أو بسبب ضيق الوقت عن واجبات أخرى فيتخلى عن نشاطه الإسلامي !! .

ثالثاً : ويزداد حزننا عندما نجد أصحاب الرسالة الهادية إلى الحق يظنون أن معرفتهم من الباطل الصهيوني والباطل الاستغلالي النهي العالمي قد انحصرت في انفعالات وقتية ، أو في تبرعات مالية ، ويتعدون عن إصلاح الإنسان وتغيير ما بنفسه حتى يغير الله ما بأمثنا والعالم : ﴿ ... إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ... ﴾ [الرعد: ١١] .

التبرم بالناصحين :

لا تخطيء العين في أن ترى كثرة المنتمين إلى الحركة الإسلامية ، ولكن حين يوسع المراقب النظر فإنه يكتشف أن غالبية الذين يلتزمون بسلوك إسلامي لا يشاركون في النشاطات الإسلامية مع قدرتهم فكراً وجهداً ووقتاً على المساهمة المباشرة في بناء الإنسان الرباني .

ولا ننكر أن التزامهم بالإسلام داخل أسرهم وفي المجتمع يحمل آثاراً دعوية إيجابية ، والذي نناقشه هنا هو الاستفادة من وقتهم وطاقتهم في عملية الإصلاح والتغيير ، لأن ابتعادهم عن ساحة العمل المباشر يضعف العمل الإسلامي على مستوى التفكير ، والتخطيط ، والتنفيذ ، وهذا مبعث الحزن والألم ، ولأننا نحب لهم رضواناً من الله أكبر ، ونخاف عليهم من مناقشة الحساب والعتاب .

والملاحظ أن كثرة كثرة من هؤلاء الإخوة يتحسسون من كل خطبة أو محاضرة أو كتاب أو مجلة تتحدث عن الجهود المعطلة ، أو المشتغلة بأمور غير هامة عن الهام والأهم من القضايا ، وبعض هؤلاء ربما صرح بتبرمه من الناصحين ، وبأسلوب تفوح منه روائح الانتصار للذات ، على الرغم تغليف التبرم بالحرص والغيرة . وهذه الحساسية تدفع كثيرين إلى الإصرار على ما هم عليه بدلاً من الانعطاف على الذات وتحقيق شروط التوبة في الأمور التي يُلفت نظرهم إليها .

مما سبق ذكره يتضح أن الحركة الإسلامية تنطوي على طاقات كريمة عزيزة ، وأن نسبة عالية ممن أكرمهم الله بعلم وعمل يقصرون في الاستفادة من أوقاتهم ولا يهتمون كثيراً بتنمية معرفتهم وممارساتهم الدعوية والتربوية ، وبهذا يفوتون على أنفسهم خيراً كثيراً ، ويضعفون جماعاتهم في جوانب متعددة ، وبدلاً من أن ينظروا إلى دورهم في وجود الضعف والتقصير والعجز في الأعمال الجماعية والتربوية ، فإن كثيرين يسלטون السنة النقد لمن يعمل ويبدل ما بوسعه ويحقق من النجاحات بمقدار ما يتوفر من فكر وجهد وإمكانات .

ونصح أخيراً بوجوب ملء الوقت بأعمال نافعة تجعل جوانبنا يوم العرض على الله تعالى عن عمرنا فيم أمضيناه ؟ بعيداً بعيداً عن الندم .



ماذا أعددنا للحساب ؟

قال خطيب الجمعة : تتناول خطبة اليوم جوانب يثيرها في واقعنا نحن رواد المساجد حديث رسول الله ﷺ : « أَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الصَّلَاةُ ؛ فَإِنْ صَلَحَتْ ، صَلَحَ لَهُ سَائِرُ عَمَلِهِ ، وَإِنْ فَسَدَتْ ، فَسَدَ سَائِرُ عَمَلِهِ » صحيح الجامع الصغير : ٢٥٧٠ .

فهذا الحديث يطرح سؤالاً ينبغي أن تهتم له فرائص المؤمنين ، وبخاصة في أيام غفلة الأمة ، فالغفلة قد تبقي على صورة العمل ولكنها تسلبه روحه ، فيفقد العابد حلاوة الطاعة ولا يجد أثرها في قلبه وأخلاقه .

والسؤال : كيف تكون صلاتنا صالحة مقبولة عند الله عز وجل ؟

ثم قال : وسأذكر في مقامي هذا بثلاثة أمور : النية ، والقراءة ، والاطمئنان في الأركان .

١- أما النية : فإن صلاحها شرط لقبول الأعمال ، فإذا فسدت كان العمل وبالاً على صاحبه ، ولا يخفى أن الشيطان يركّز في وساوسه على تلويث النية ، فإذا انتبه العبد إلى عبث الشيطان ، ودفع ما يوسوس به ليفرغ العبادة من مضمونها وثوابها ، واستحضر مراقبة الله تعالى لأعمال القلوب ، فدفعه ذلك إلى الحياء من الله الجليل ، فطرد وساوس الشيطان ، ولجأ بقلبه إلى الرحمن يسأله العفو والعون .. كان من الفائزين .

وبما أن المعركة مع الشيطان في مجال النية يومية ومستمرة إلى أن يرحل العبد عن دنيا العمل والابتلاء ، فإنه لن ينجو من مكائد الشيطان إلا إذا تسلّح باليقظة ، والمراقبة ، والإنابة ، والتوكل على الحي الذي لا يموت .

٢- وأما القراءة فالمراد بها قراءة القرآن في الصلاة ، ولا يجهل مسلم أن الصلاة لا تصح بدون قراءة ، ولا يغيب عن علم معظم رواد المساجد أن القراءة المقبولة ينبغي أن يتوفر فيها :

- ضبط النطق وفق أصول اللغة العربية .

- وتطبيق أحكام التلاوة في حدود الوسع والطاقة .

فهل يبذل القادرون جهداً كافياً يجعل قراءتهم مقبولة ؟ لا ريب في أن مستوى التلاوة قد تحسن عند جمهور أبناء الصحوة الإسلامية ، ولكن نسبة لا بأس بها منهم ما يزالون غير مكترئين بتحسين تلاوتهم للقرآن مع قدرتهم على ذلك ، وهذا مؤسف .

٣- وأما الاطمئنان في الأركان فإنه شرط لصحة الصلاة لا لكمالها ، فإذا راقبنا صلاة عامة رواد المساجد فإننا نصاب بدوار من كثرة فقدان الاطمئنان ، وبخاصة في الركوع والسجود والرفع منهما ، وفي هؤلاء يصح قول رسول الله ﷺ للمسيء صلاته : « ارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ ... »! صحيح البخاري .

فإذا وقع خلل في النية ، وفي القراءة ، وفي الاطمئنان .. فكيف تؤتي الصلاة ثمرتها : ﴿ ... إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ... ﴾ [العنكبوت: ٤٥] .

ثم عرج الخطيب إلى ذكر أمرين يبرزان نتيجة لعدم صلاح الصلاة :

الأول : فقدان الخشوع ؛ فالنية المدخولة ، والقراءة الضعيفة ، والاطمئنان المفقود مقدمات طبيعية لذهاب الخشوع في هذه العبادة العظيمة . وإذا فقد الخشوع تحولت الصلاة إلى حركات بلا روح . وقد حذر رسول الله ﷺ من هذا الداء الوييل فقال : « **أَوَّلُ شَيْءٍ يُرْفَعُ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ الْخُشُوعُ ، حَتَّى لَا تَرَى فِيهَا خَاشِعًا** » صحيح الجامع الصغير : ٢٥٦٦ .

الثاني : ضعف الأخلاق ؛ وقد بين رسول الله ﷺ أن هناك علاقة بين فساد الأخلاق وبين الصلاة المغشوشة ، فقال : « **أول ما يُرفع من الناس الأمانة ، وآخر ما يبقى من دينهم الصلاة ، ورُبَّ مُصَلٍّ لَا خَلَقَ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى** » صحيح الجامع الصغير : ٢٥٧٢ .

ونبه الخطيب إلى أن للنوافل تأثيراً في إصلاح ما يطرأ على الصلاة المفروضة من نقص لا يطل الأركان ، ففي الحديث أن رسول الله ﷺ قال : « **أَوَّلُ مَا يُحَاسَبُ النَّاسُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ أَعْمَالِهِمُ الصَّلَاةُ ، يَقُولُ رَبُّنَا عَزَّ وَجَلَّ لِمَلَائِكَتِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ : انظُرُوا فِي صَلَاةِ عَبْدِي أَتَمَّهَا أَمْ نَقَصَهَا ؟ فَإِنْ كَانَتْ تَامَةً كُتِبَتْ لَهُ تَامَةً ، وَإِنْ كَانَ انْتَقَصَ مِنْهَا شَيْئًا ، قَالَ : انظُرُوا هَلْ لِعَبْدِي مِنْ تَطَوُّعٍ ؟ فَإِنْ كَانَ لَهُ تَطَوُّعٌ ، قَالَ : أَتَمَّوا لِعَبْدِي فَرِيضَتَهُ ، ثُمَّ تَوَخَّذُوا الْأَعْمَالَ عَلَى ذَاكُمْ** » صحيح الجامع الصغير : ٢٥٦٨ .



لقد سقت ما قاله خطيب الجمعة بإيجاز آملاً لفت نظر أبناء الحركة الإسلامية بشكل خاص إلى الآتي :

١- ينبغي أن يحصل المسلم معرفة كافية بفقهاء العبادات المفروضة عليه ، فهذا شرط لتحصيل ثوابها وثمرتها ، وما دام العبد قائماً بالعبادات فعليه أن يؤديها على النحو الذي كان يؤديها رسول الله ﷺ ، وإن مما يؤسف له أن كثيراً من المسلمين يؤديون صلاتهم نقلاً عن البيئة التي ترعرعوا فيها مع قدرتهم على دراسة أحكامها أو سؤال أهل العلم عنها لإقامتها كما يجب . فالعمل على أساس من العلم هو الذي يجعل سائر الأعمال صالحة مقبولة .

٢- يجب أن يعتني الدعاة والجماعات بأخلاق التعامل مع الخالق عز وجل ومع المخلوقين ، فإصلاح النية رمز لأخلاق القلوب التي إذا صلحت صلح سلوك العبد ، وإذا فسدت انحرف السلوك .

٣- إن حرص المؤمن على إنقاذ نفسه عن طريق إصلاح العمل ، هو الذي يؤهله ليكون مصلحاً لغيره ، أما الذين يشتغلون بعيوب الناس ولا يرون عيوبهم فإنهم يسيئون إلى أنفسهم .. وفي هذا خسارة كبيرة .. فاعتبروا يا أولي الأبصار .



إن الدين يسر

أولاً : بني الإسلام على اليسر ورفع الحرج : والنصوص الدالة على هذه الحقيقة كثيرة ،

نذكر منها طائفة :

١- من القرآن :

① قول الله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] .

② وقوله تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ [الحج: ٧٨] .

③ وقوله تعالى في سورة البقرة عند الحديث عن الصيام : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [١٨٥] .

④ قوله عزَّ وجلَّ في أحكام الوضوء : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [المائدة: ٦] .

٢- من السنة :

① قول رسول الله ﷺ : « إِنَّ هَذَا الدِّينَ يُسْرٌ وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ ... » رواه

البخاري عن أبي هريرة .

② وقوله ﷺ : « أَحَبُّ الدِّينِ إِلَى اللَّهِ الْحَنِيفِيَّةُ السَّمْحَةُ » رواه البخاري في الأدب المفرد ، وذكره في الصحيح تعليقا .

③ وعن أبي هريرة ﷺ قال : قَامَ أَعْرَابِيٌّ فَبَالَ فِي الْمَسْجِدِ ، فَتَنَاوَلَهُ النَّاسُ ، فَقَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ : « دَعُوهُ ، وَاهْرِيقُوا عَلَى بَوْلِهِ سَجْلًا مِنْ مَاءٍ أَوْ ذُنُوبًا مِنْ مَاءٍ ، فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيسِّرِينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ » رواه البخاري وغيره .

④ وقوله ﷺ لأبي موسى ومعاذ حين أرسلهما إلى اليمن « يَسْرًا وَلَا تُعَسِّرَا وَبَشْرًا وَلَا تُنْفِرَا » رواه البخاري وغيره .

٣- أمثلة على دعوة النبي ﷺ إلى اليسر ورفع الحرج :

① قول رسول الله ﷺ لمعاذ وقد أطل صلاة العشاء ، فانفصل عنه رجل وصلى منفرداً : (يَا مُعَاذُ أَفْتَانٌ أَنْتَ) كَرَّرَهَا ثَلَاثًا ، وفي رواية (اقْرَأْ وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا ، وَالضُّحَى ، وَاللَّيْلُ إِذَا يَعْشَى ، وَسَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ) رواه البخاري وغيره .

② عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ قَالَ : قَالَ : رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي لِأَتَأَخَّرُ عَنِ الصَّلَاةِ فِي الْفَجْرِ مِمَّا يُطِيلُ بِنَا فُلَانٍ فِيهَا ، فَغَضِبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ، مَا رَأَيْتُهُ غَضِبَ فِي مَوْضِعٍ كَانَ أَشَدَّ غَضَبًا مِنْهُ يَوْمَئِذٍ . ثُمَّ قَالَ :

« يَا أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ مِنْكُمْ مُنْفِرِينَ فَمَنْ أَمَّ النَّاسَ فَلْيَتَجَوَّزْ فَإِنَّ خَلْفَهُ الضَّعِيفَ وَالْكَبِيرَ وَذَا الْحَاجَةِ » رواه البخاري وغيره .



ثانياً : هي الإسلام عن الغلو والتشديد :

لا يخفى أن الناس مختلفون في الطباع ، ومن رحمة الله بنا أن بين لنا ما شرع ، وأمرنا برد أمورنا إلى الشرع لا إلى الطبع ، وعلمنا ربنا الكريم أن نقرأ في صلاتنا اليومية بهذا الدعاء الرائع الجامع :

﴿ اِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ [الفاتحة : ٦-٧] .

يقول ابن القيم في (مدارج السالكين - ج ٢ - ص ٥١٧) :

(فما أمر الله بأمر إلا وللشيطان فيه نزغتان : إما إلى تفریط وإضاعة ، وإما إلى إفراط وغلو ، ودين الله وسط بين الجافي عنه والغالي فيه .. فكما أن الجافي عن الأمر مضيع له ، فالغالي فيه مضيع له .. هذا بتقصيره عن الحد وهذا بتجاوزه الحد) .

وقد جاءت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية محذرة من الغلو في الدين ، ومن ذلك نذكر:

١- يقول الله تعالى : ﴿ فَاسْتَقِمَّ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ

بَصِيرٌ ﴾ [هود : ١١٢] .

٢- ويقول رسول الله ﷺ : « إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَبْعَثِي مُعْتَبًا وَلَا مُتَعْتَبًا وَلَكِنْ بَعَثَنِي مُعَلِّمًا

مُيسِّرًا » رواه مسلم وغيره .

٣- وبين رسول الله ﷺ أن نتائج التشديد وخيمة فقال : « لَا تُشَدِّدُوا عَلَيَّ أَنْفُسِكُمْ

فَيَشُدُّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ، فَإِنَّ قَوْمًا شَدَّدُوا عَلَيَّ أَنْفُسَهُمْ فَشَدَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ، فَتِلْكَ بَقَايَاهُمْ فِي

الصَّوَامِعِ وَالْدِّيَارِ ﴾ وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ ﴾ » رواه أبو داود وغيره بإسناد حسن

٤- ويقول رسول الله ﷺ : « هَلَكَ الْمُتَنَطِّعُونَ » قَالَهَا ثَلَاثًا . رواه مسلم وغيره

قال النووي في شرح مسلم : (هلك المتنطعون : أي المتعمقون المغالون المجاوزون الحدود

في أقوالهم وأفعالهم) .

٥- ويقول ﷺ في حديث جامع : « إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ ،

فَسَدِّدُوا ، وَقَارِبُوا ، وَأَبْشِرُوا . وَاسْتَعِينُوا بِالْعَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدَّلْجَةِ » رواه البخاري

وغيره . قال ابن حجر في فتح الباري : (والمعنى لا يتعمق أحد في الأعمال الدينية ويترك الرفق إلا

عجز وانقطع فيغلب) .

٦- صور من التشديد هي عنها الإسلام :

① عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : جَاءَ ثَلَاثَةٌ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ يَسْأَلُونَ عَنْ

عِبَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا ، كَانَتْهُمْ تَقَالُوهَا ! . فَقَالُوا : وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا

تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ ؟ . قَالَ أَحَدُهُمْ : أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا . وَقَالَ آخَرُ : أَنَا أَصُومُ

الدَّهْرَ وَلَا أُفْطِرُ . وَقَالَ آخَرُ : أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلَا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا . فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَيْهِمْ ،

فَقَالَ : « أَنتُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا ؟ أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لِأَخْشَاكُمُ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمُ لَهُ ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ ، فَمَنْ رَغِبَ عَن سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي » رواه البخاري وغيره .

② عن أنس رضي الله عنه قال : دخل النبي صلى الله عليه وسلم المسجد ، فإذا جبل ممدود بين ساريتين ، فقال : « مَا هَذَا الْجَبَلُ ؟! قَالُوا : هَذَا جَبَلٌ لِرَيْبِ ، فَإِذَا فَتَرَتْ تَعَلَّقَتْ بِهِ » . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « حُلُوهُ ، لِيُصَلَّ أَحَدُكُمْ نَشَاطَهُ فَإِذَا فَتَرَ فَلْيَرْقُدْ » رواه البخاري وغيره .

③ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : بينما كان النبي صلى الله عليه وسلم يخُطب إذا هو برجل قائم ، فسأل عنه ، فقالوا : أبو إسرائيل ، نذر أن يقوم في الشمس ، ولا يقعد ، ولا يستظل ، ولا يتكلم ، ويصوم . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « مُرُوهُ فَلْيَتَكَلَّمْ ، وَلْيَسْتَظِلَّ ، وَلْيَقْعُدْ ، وَلْيَتِمَّ صَوْمَهُ » رواه البخاري وغيره .



ثالثاً : اليسر والمشقة :

أخذ الفقهاء من النصوص السابقة وغيرها قاعدة عظيمة هي :

(المشقة تجلب التيسير)

- ولكن ما هي المشقة التي تجلب التيسير ؟

■ من المعلوم أن التكاليف الشرعية فيها مشقة ، وهي مشقة عادية لا فكاك عنها في كل عمل ؛ ولنتأمل كيف يقرر ربنا صلى الله عليه وسلم أنه ما جعل علينا في الدين من حرج في سياق التكاليف الكبرى :

■ يقول الله عز وجل : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿ [الحج : ٧٧-٨٧] .

■ يقول الشاعر :

لولا المشقة ساد الناس كلهم الجود يُفقر والإقدام قَتَالُ



رابعاً : الرخص والعزائم :

إن حديثنا عن اليسر يدخل فيه (الرخص) .. ولكن هذا لا يعني بناء الشخصية على الفرار من العزائم .. فالرخصة حكم استثنائي يطبق في شروط استثنائية ، والعزائم هي الأحكام في الحالات العادية ، ولا يخلط بينهما فقيه .

- يقول رسول الله ﷺ : « إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ أَنْ تُؤْتَى رُخْصُهُ ، كَمَا يُحِبُّ أَنْ تُؤْتَى عَزَائِمُهُ » رواه أحمد وغيره بإسناد صحيح .



خامساً : الرخص والمعصية :

والرخص تخفيف يحب الله الأخذ بها .. ويكره الوقوع في المعاصي بحجة الرخصة .

♦ يقول رسول الله ﷺ : « إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ أَنْ تُؤْتَى رُخْصُهُ ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ تُؤْتَى مَعْصِيَتُهُ » رواه أحمد وغيره بإسناد صحيح .



سادساً : التشديد واتقاء الشبهات :

لا يفهم من نهي الإسلام عن التشديد .. أن هذا النهي يشمل اتقاء الشبهات :

- عن النعمان بن بشير قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إِنَّ الْحَلَالَ بَيْنٌ ، وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيْنٌ ، وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ ، فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعَرْضِهِ ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ ، كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمَى أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللَّهِ مَحَارِمُهُ ، أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ » رواه مسلم وغيره .

خلاصة

○ إن الإسلام دين يسر ، واليسر يشمل تحقيق مصلحة الإنسان من خلال الأوامر والنواهي ، فإذا تعارضت مصلحة الإنسان مع الأمر أو النهي كانت الرخص التي تدفع المشقة بشروطها الشرعية ، وأشير هنا إلى نماذج من قواعد استنبطها علماء الإسلام بهذا الخصوص :

١- المشقة تجلب التيسير .

٢- الضرورات تبيح المحظورات .

٣- يحتمل أخف الضررين لاتقاء أشدهما .

○ والتعامل مع هذه القواعد وغيرها يحتاج إلى علم .. فمن كان قادراً فليقدم .. وإلا فليرجع إلى من عنده علم مناسب .

○ وأختم بوصف رسول الله ﷺ : « مَا خَيْرَ النَّبِيِّ ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا اخْتَارَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا » رواه البخاري



في الغرب ناس يرون ما نرى ويقولون الذي نقول

يعيش المسلمون اليوم أوضاعاً قاسية تعصف بهم من كل جانب ، وتقرز أعماق الأعماق في بنيانهم الثقافي والاجتماعي والاقتصادي والسياسي ، ويتعرضون لموجات متلاحقة من التدخل الخارجي في شؤونهم على كل صعيد . ولا يخفى على أحد إصرار قوى التسلط والهيمنة العالمية على منع المسلمين من النهوض والتقدم والاستقلال الحقيقي ، ويمثل التدخل الأمريكي ، الظاهر والمستتر ، أشرس وأعنف أنواع (الاستعمار) المباشر وغير المباشر !! .

وقد أدرك المسلمون ، صغاراً وكباراً ، أبعاد (الاستراتيجية) الأمريكية العدوانية ، ولمس كثير من مفكري الغرب وأبنائه آثارها الآنية الرهيبة ، ونتائجها المستقبلية المرعبة ، فهبوا يحذرون رجال السياسة ويدعونهم إلى إعادة النظر في التعامل مع الأمم الأخرى ، والمؤسسات الدولية ،

ويؤكدون أن هناك طريقاً آخر لتحقيق المصالح والنهوض بالواجبات غير طريق القوة الغاشمة والإرهاب والابتزاز والعنصرية المقيتة .

ويعد (وليام بولك) مؤسس (مركز دراسات الشرق الأوسط) بجامعة شيكاغو واحداً من ناقلي السياسة الأمريكية الخارجية ، وقد كتب بحثاً ينصح فيه الإدارة الأمريكية بالعدول عن سياستها الحالية ، ونشره بعنوان :

« نحو سياسة خارجية أمريكية ناجحة »^(١)

وقد رأينا أن نبرز نقاطاً كبرى في الموضوع تؤكد ما لخصناه في العنوان :

- بدأ الكاتب بحثه بالحديث عن شخصية إغريقية اسمه (إيسوب) وكان عبداً أطلقه سيده في القرن السادس قبل الميلاد نظراً لمواهبه وحكمه . اشتهر إيسوب بنقده اللاذع للحكام الطغاة وبارشادهم إلى أفضل السياسات عن طريق صياغة قصص خيالية . وذكر وليام بولك من رواياته القصة الآتية :

{إن الشمس والرياح كانتا تتنازعان على أيهما أقوى ؟. ولتسوية نزاعهما وافقتا على الدخول في مباراة : أيهما تستطيع أن تحمل إنساناً بشرياً صغيراً على كوكب الأرض على أن يخلع عنه معطفه .

بدأت الريح فشنت دوامتها على الرجل التعيس بقوة إعصار ، غير أنه كلما اشتدت الريح في لطماقتها عليه تمسك بمعطفه ، وعندما لم تغلح (الصدمة والذعر) تخلت الريح عن محاولتها .

وجاء دور الشمس : لم تُدخل الخوف في روع الرجل كما فعلت الريح ، إنما استخدمت الحيلة معه ، أشعته أشعتها بالدفء فألقى عنه معطفه الثقيل ، لقد وجد أن المعطف تحول من حام ضروري ضد الرياح ليصبح عبئاً لا يجلب الراحة } .

ويخلص وليام بولك من القصة إلى أن قوة أمريكا قد استخدمت نظرية (الصدمة والذعر) وهذا ولّد وسيولّد ألواناً من المقاومة (التمسك بالمعطف) وستسعى المقاومة لامتلاك وسائل الدفاع والنيل من أمريكا .. وقد يكون السلاح النووي أحد الخيارات .. وهذا إذا حصل سيؤدي إلى كوارث وستلحق المقاومة بأمريكا هزيمة منكرة على الرغم من قوتها الهائلة .

ويتمنى وليام بولك أن تأخذ أمريكا بما أسماه : (القيادة الدافئة) التي تصنع جواً من السلام والأمن الذي يصبو البشر جميعهم إليه ، فتحقق بذلك أهدافها وأهدافهم .

ثم يقول : {وعلى الرغم من مصادر أمريكا الواسعة وقوتها الهائلة ، فإن أمريكا اليوم ليست أكثر سلامة مما حدث قبل عقد مضى ، أو حتى قبل جيل مضى ، إننا نخسر الحرب في العراق ، ونحن يقيناً لا نكسب الحرب في أفغانستان . ولهذا شرعنا في حملة ضد الإرهاب لا تفلح ، كل هذا بنفقات هائلة نتكبدها نحن أنفسنا وأجيال المستقبل}

وبعد أن يؤكد على أن الإدارة الأمريكية لا تلتفت إلى هذه المعاني ، بل تهرب إلى الأمام ، يقول :

{إن (استراتيجية الدفاع القومي للولايات المتحدة الأمريكية للعام ٢٠٠٥م) تجعل الولايات المتحدة تبدو دولة مارقة ، فهي تؤكد أن أمريكا ستفعل أي شيء تعتبره في مصلحتها ، في أي زمان ، وأي مكان ، تختار ، بغض النظر عن مصالح الآخرين ، وحتى انتهاكها لالتزاماتها التعاهدية} !!!

ويرى وليام بولك أن صورة أمريكا قد اهتزت حتى لدى الأصدقاء ، وأن الشارع الأمريكي يكتشف يوماً بعد يوم مدى التورط الأمريكي في الشؤون الدولية وانعكاساته على الوضع الداخلي ومستقبل أمريكا . ويرفع صوته داعياً إلى إعادة النظر في السياسات ، ويقترح إجراءات عملية ، ويرز قول توماس جيفرسون :

(دعونا نسارع لإعادة توجيه خطواتنا واستعادة الطريق الذي وحده يفضي إلى سلام وحرية وأمان) .



ثم يفتح وليام بولك مجموعة ملفات ساخنة يعرضها على النحو الآتي :

① الملف النووي : يرى بولك أن :

- السلاح النووي اختراع غربي ، واستخدم من قبل أمريكا فقط .
- وقد تطور السلاح النووي وتنوع عدداً وحجماً ، وصُنّف بـ (النووي التكتيكي) و (النووي الاستراتيجي) .

- ويخشى أن يقع هذا السلاح في أيدي معادين لأمريكا .. ولا يستبعد أن يقع السلاح النووي التكتيكي في أيدي مجموعات مناوئة للولايات المتحدة ، وهذا يزيد من الخطر .

- وسياسة أمريكا الحالية تدفع دولاً وجماعات إلى امتلاك السلاح النووي (نظرية التمسك بالمعطف) .

- الحل : حسب رؤية وليام بولك :

▪ لا يمكن أن يكون الحل بمنع الآخرين من امتلاك هذا السلاح .. بالقوة .
▪ ولكن منعه يتم عن طريق تخلي أمريكا والدول النووية عن هذا السلاح .. وعدم التهديد به .

▪ وأيضاً بحل المشكلات العالمية ، وجعل مواطن الصراعات تشعر بعدالة وحيادية القيادة الأمريكية الدافئة .

▪ يضاف إلى ما سبق أن السلاح النووي يشكل أزمة في حمايته ، وصيانة أماكن وجوده ، وهذا يكلف جهوداً ، وأموالاً ، وهموماً كبيرة .



② الملف القانوني :

يؤكد وليام بولك على الآتي :

- إن التجاوزات القانونية من طرف الحكومة الأمريكية ، وبخاصة في مجال حقوق الإنسان ، لم تعد حالات انعزالية أو فردية ، فما يجري في غوانتانامو ، وسجون العراق (وبخاصة فضائح سجن أبو غريب) ، وسجون أفغانستان (وبخاصة في سجن قاعدة باغرام) كل هذا وغيره يؤكد على استخفاف الإدارة الأمريكية بالقانون والاتفاقات الدولية .

- وسينتج عن هذا السلوك المشين والواسع من الناحية العملية أضرار :

① ستقتدي دول بأمريكا الرائدة القائمة !!

② وستنتقل هذه النفسية والعقلية التجاوزية إلى الداخل الأمريكي أيضا .

وستكون الخسارة الأخلاقية والتدمير القانوني .. فظيعين !!

ويقول وليام بعد ذلك :

{وأولئك الذين يذهبون إلى أن الاعتداء على الحرية والتحايل على القانون أمران ضروريان ينبغي أن نُذكرهم بالملاحظة التي أبدتها رجل الدولة الإنكليزي (وليام بيت) بعد الثورة الأمريكية حيث قال : (إن الضرورة هي الحجة لكل اعتداء على الحرية الإنسانية . إنها حجة الطغاة ، وهي عقيدة العبيد) .

ويخلص وليام بولك إلى القول :

إن ما نفعه الآن هو أننا ننتهك ليس فقط قوانيننا نحن ، إنما ننتهك أيضاً صورتنا كمجتمع ديمقراطي وملتزم بالقانون وبالمثل . لقد ألحقت مثل هذه الممارسات من الضرر بأمريكا أكثر كثيراً مما يمكن لأي إرهابي أن يفعله) .



③ ملف احترام الآخر .. والأمم المتحدة كمثال :

يقول وليام بولك :

{إن واقع عالمنا -أحببناه أم لم نحبه- أنه عالم متعدد ، وقد نكون نحن القوة العظمى الوحيدة ، على الرغم من أن مكائنتنا هذه ربما تكون مؤقتة أكثر مما تظن الأمة ، ولكننا لا نستطيع أن ننجز منفردين ما نتوق إليه .

كما أن أفضل وسائل العمل المؤسساتية لدينا -سواء كان هذا حسناً أو سيئاً- هي الأمم المتحدة ، مِنْ ثَمَّ يتعين علينا أن نوقف اللعبة الفاقدة المعنى ، والمثيرة للسخرية غالباً ؛ لعبة الخط من قدر الأمم المتحدة ، وأن نبدأ في جعلها مفيدة} .

ويرى وليام بولك :

- إن على أمريكا أن تسعى إلى إصلاح الأمم المتحدة لصالح مشاركة أوسع في القرار الدولي ؛ يوحي لدول العالم أن أمريكا لا تستخدم الأمم المتحدة عندما تريد ، وتهمش الدور الأممي إذا شعرت بمخالفة لما تراه .

- إن على أمريكا أن تكون جزءاً من القرار الدولي ، وبخاصة عند تشكيل قوات حفظ السلام ، لأن إصرارها على الانفراد بالعمل أو القيادة ، يضعف الأمم المتحدة ويثير الحساسيات ضد أمريكا .

- إن أمريكا حين تأخذ دورها الطبيعي في العمل الجماعي .. سيشكرها الآخرون
وستحصل على الاحترام والأمن وتصان مصالحها .



④ خرافة الحرب على الإرهاب :

يقول وليام بولك :

{لقد ثبت أن ما نقوم به الآن بشأن الإرهاب عديم الفاعلية ، إننا نبدأ بإساءة فهم ما هو
(الإرهاب) ؟ .

إنه ليس شيئاً أو مكاناً أو جماعة . لهذا فإن الحديث عن شن حرب عليه هو كلام أجوف ،
إنما هو مجرد (تكتيك) يستخدم في حالة اليأس من أولئك الذين لا يملكون قوة يمكن أن تقارن
بقوة أولئك الذين يعتبرونهم أعداءهم ، إنه سلاح الضعفاء} .

ويقول :

{هناك أسباب عدة لإخفاقنا في تطوير استراتيجية لمواجهة . والسبب الأساسي بين هذه
الأسباب هو العدد الكبير من الناس الذين يعتقدون أنه وسيلتهم الوحيدة للعمل ، غالبيتهم
يعتقدون أنهم تحت احتلال أجنبي ، ويحاربون باستماتة لتحرير أنفسهم ؛

- ففي العراق يدور الصراع ضد احتلالنا .

- وفي ما بقي من فلسطين يدور ضد المحتلين الإسرائيليين (الذين يراهم معظم غير
الأمريكيين أنهم وكلاء عن الأمريكيين) !! .

- وفي بلاد الشيشان يوجه ضد الروس .

وهذا الشكل من الصراع الوطني قديم} .

وذكر وليام أنه استُخدم من قِبَل الأمريكيين أيام الثورة ، ومن الأرمن ،
والايرلانديين .. إلخ .

ويصل وليام إلى تسجيل تناقض أمريكا في الحكم على الوقائع .. ذاكراً التلاعب في
الألفاظ .. فإذا كانت أمريكا مؤيدةً لجماعة مقاتلة : {اعتبرناها جماعات مقاتلة من أجل الحرية ،
أما حينما لم نتفق معها أطلقنا عليها وصف (إرهابيين) } !! .

ويشير وليام بولك إلى بواعث الكراهية التي قد تدفع مجموعة مؤلفة من عرقيات متعددة إلى الاجتماع والتعاون لمنازلة أمريكا وتهديد أمنها ومصالحها ، مؤكداً أن هذه الجماعات يجمعها أنها ترى في أمريكا الحامي والمدافع عن النظم القمعية ، والمحتلة للأرض والإرادة .

ويدعو وليام إلى البحث عن أسباب الصراع والعمل على حلها .. فهذا هو الطريق الصحيح .

إنه يقول :

{من الواضح أن الإرهاب أو حرب العصابات تنشأ عن دوافع سياسية ، ولهذا تتوجب معالجتها بهذه المعايير .

وما لم تكن القوة المهيمنة مستعدة للتورط في إبادة جماعية فإنه لا يمكن إلحاق الهزيمة بالإرهاب بالوسائل العسكرية .

وللحقيقة فإنه كلما كان القمع العسكري أقوى وأكثر توغلاً زاد أعضاء (البحر) الذين يتحولون إلى (أسماك) وهذا ما نراه الآن في العراق .. وتوضح الأرقام هذه النقطة :

- في عام ٢٠٠٣ قُدِّرت الاستخبارات الأمريكية المقاتلين النشطين بعدة مئات قليلة .

- وفي أوائل عام ٢٠٠٤ ارتفعت هذه التقديرات إلى عدة آلاف قليلة .

- واليوم -٢٠٠٥- تصل إلى ما بين ١٥-٢٠ ألفاً .

وبعد أن يضرب وليام بولك أمثلة على دعم أمريكا لمقاتلين في أوروبا وأمريكا اللاتينية يقول :

{إن ما تحتاج أمريكا إلى عمله هو تقييم سياساتها بما يتفق مع إعلان الرئيس ويلسون بشأن حق الشعوب في تقرير مصيرها) .

ويرى وليام بولك أن هذا هو السبيل الناجح في محاربة الإرهاب (حق تقرير المصير للشعوب) بشروطه الموضوعية .



⑤ ملف المعلومات = المخابرات :

يحدد بولك ما يعنيه ب (المخابرات) في ثلاث مجموعات :

١- جمع المعلومات .

٢- تقييم المعلومات .

٣- التجسس .

ويؤكد أن عملية جمع المعلومات العامة والسرية جيدة ، وبخاصة المعلومات المتاحة لكل إنسان ، وأن قدرة أمريكا على تتبع المعلومات السرية جيدة .

وأن لدى أمريكا وسائل جيدة لتقييم المعلومات ، وذكر وليام مركزين للبحوث : مكتب التقديرات القومية ، ومكتب المخابرات والبحوث التابع لوزارة الخارجية ، وأن الإدارة الأمريكية كانت تقع في ورطات كلما تجاوزت مراكز التقدير والتحليل للمعلومات ، وهذا ما حصل في غزو أمريكا للعراق عام ٢٠٠٣ م !! .

أما (التجسس) ؟ فيذهب وليام بولك إلى اعتبار هذا العمل (المهنة القذرة) التي يتم من خلالها تجاوز جميع القيم ، وقد أدى جهاز التجسس (CIA) أدواراً شوهت صورة أمريكا ، وما زالت أجهزة التجسس الأمريكية ترتكب الموبقات الضارة بمستقبل أمريكا عالمياً .



٦ دعائم الشخصية الأمريكية في خطر :

يقول وليام : (تقوم الولايات المتحدة وتكتسب شخصيتها على دعائم ثلاث :

الأولى : ساحة المشاركة الشعبية في الحكم .

والثانية : هي رأي عام تتوفر لديه معلومات .

والثالثة : الاقتصاد) .

ويرى وليام أن (المشاركة الشعبية) ليست موجودة في الدستور فقط ، ولكنها تمارس في الأحياء السكنية والمدن .. فالأمريكان تعودوا على القيام بأعمالهم بأنفسهم ، وهم يجتمعون كلما دعت الحاجة لإنجاز أعمال مشتركة خارج إطار الحكومة . ويرى أنه في هذا السلوك تكمن أعظم قوة لأمريكا .

أما (المعلومات) فقد فشلنا في توفيرها بالكمية والنوعية المناسبة ، ويذكر بمقولة لتوماس جيفرسون عام ١٨١٦م : (إذا توقعت أمة أن تكون جاهلة وحررة وفي حالة من المدنية ، فإنها بهذا تتوقع ما لم يكن ، وما لن يكون أبداً) .

ويشير إلى نتائج استطلاعات الرأي التي أكدت على (سوء نظامنا التعليمي ، حتى طلاب الكليات جاهلون بصورة مزعجة حتى بمواقع البلدان) !! .

ويذكر وليام أن الحكومة الأمريكية تشن حرباً على أساتذة الجامعات الذين يمارسون دوراً في توعية الأمريكيين بما يجري ، وأن الإبعاد والتهميش والتشويه صارت أساليب معتمدة .. وكأن الحكومة أخذت برأي الشيوعية والنازية والفاشية .

ويحمل وليام بولك على سطحية وسائل الإعلام وبعدها عن القضايا الحقيقية سواء كانت عالمية أم قومية .

أما (الاقتصاد) ؟ فيرى بولك أن أمريكا تسير إلى (الكارثة) ، ويخلص إلى القول :

(إن من الواضح الجلي أنه إذا لم ترتب أمريكا أمور بيئتها الاقتصادية ، فإنها لن تكون قادرة على مواصلة لعب دور رئيسي في الشؤون الخارجية) .



⑦ المشكلة الفلسطينية :

يقول وليام بولك : (إن المشكلة الفلسطينية - من وجوه كثيرة - هي الأكثر تغلغلاً وتعقيداً وخطورة في السياسة الخارجية الأمريكية ، وهي - كذلك - المشكلة الأصعب على التناول ، لأنها متجذرة بعمق في مشاعر الذنب والانفعال والخوف بصورة تجعلها تقريباً خارج إطار التفكير العقلاني) . ويدعو وليام إلى ضرورة الفصل بين (أمريكا) و (إسرائيل) معللاً أن (إسرائيل) لم تعد إحساناً دولياً ، إنها دولة -أمة قوية وغنية- فإذا حصل هذا الفصل فإن قدرنا من الاتزان يرجع إلى السياسة الأمريكية ، ويحسن صورة أمريكا .



وأخيراً :

يرى وليام أن ما أشار إليه عبارة عن رؤوس أقلام لقضايا كثيرة على أمريكا أن تعيد النظر فيها .. ويدعو الإدارة الأمريكية إلى الرجوع عن الرغبة في الهيمنة ، وإلى السير في طريق أكثر إيجابية ، وأكثر إنسانية ، وأكثر أماناً ، إذا أرادت أن يكون لها دور قيادي يحترمه العالم .

وبعد : فنحب تسجيل الملاحظات الآتية :

- ألسنا نرى صواب ما ذهب إليه وليام بولك في وصفه للسياسة الأمريكية ، ونتمنى أن تكف الإدارة الأمريكية عن عدوانها ، وأن تعمل وفقاً لنظام العدل والإنصاف ، وأن تتعاون مع الأمم الأخرى على ما فيه مصلحة وسعادة الجميع؟! ، ولا بد أن نوجه كلاماً إلى أنفسنا :

- ينبغي أن نمد أيدينا للتعارف والتعاون على الخير مع القوى الخيرة في الغرب ، ولا يصح أن يصدنا المسيؤون من أبناء الحضارة الغربية عن التواصل مع القوى الساعية إلى بناء عالم يسوده العدل والحرية والتعاون على الخير .

- والغريون (المعتدلون) ليسوا ضد أوطانهم .. بل هم غيورون .. وهذا لا يزعجنا .. لأننا لا نكره الغرب ، وإنما يؤلمنا الظلم المسلط على المستضعفين من قوى الهيمنة السياسية والاستغلال والنهب في الغرب .

- ولا ريب أن في الغرب تيارات ذات قيم حياتية تتحلى بـ (القيم الأخلاقية الإنسانية الأساسية) بقوة واضحة . وهذه القيم مقررة في ديننا وتحتاج إلى إحياء وتجديد العمل بها في الواقع ، ولا بأس من الاستفادة من الصور العملية التي أنتجتها العقلية الغربية .

- وأن هناك قوى غربية تسعى إلى صنع صورة سيئة للمسلمين .. وأن علينا أن نعمل على تصحيح هذه الصورة ، وأن نتعاون مع المنصفين من الغربيين على إزالة التشويهات .

- ولا شك أن في الغرب قيماً لم تمارس بعد بصورة جيدة ، مثل (التعددية الثقافية والدينية) ، وعلينا أن نعين المقتنعين بها على الاستمرار في دعم هذا الاتجاه ، لأن فيه نجاةً لجميع مكونات المجتمعات الغربية .

لماذا يخوفون من الإسلام ؟

يشغل هذا السؤال بال كثير من المسلمين ، الذين يطمئنون إلى أن الإسلام رحمة للعالمين ، وأنه لا مسوِّغ لمناصبته العداء . ولا يخفى على كثيرين أن سياسة الغرب لا يأخذون على المسلمين المعاصرين عجزهم عن إعطاء صورة مشرقة مشرقة عن تعاليم الإسلام ، وإنما ينكرون على تيار التجديد الإسلامي سعيه إلى استئناف حياة إسلامية وحكم إسلامي ، أي : رفضه للفكرة الغربية على مستوى الفكر والتشريع والأخلاق والسلوك الاجتماعي . فسياسة الغرب يحاربون محاولات إحياء الفهم السليم والتطبيق الصحيح للإسلام ، ولهذا الحرب أسباب تاريخية وأخرى معاصرة .

١- الأسباب التاريخية :

يقول المستشرق الكندي ولفرد كانتول سميث في كتابه (الإسلام في التاريخ الحديث) :
(إلى أن قام كارل ماركس وقامت الشيوعية ، كان النبي ﷺ - يقصد : الإسلام- هو التحدي الحقيقي الوحيد للحضارة الغربية الذي واجهته في تاريخها كله ، وإنه لمن المهم أن نتذكر كم كان هذا التحدي حقيقياً ، وكم كان يبدو في وقت من الأوقات تهديداً خطيراً حقاً) .
{لقد كان الهجوم مباشراً في كلا الميدانين : الحربي والعقدي ، وكان قوياً جداً .. فقد فقدت المسيحية دفعة واحدة .. أجمل مقاطعات الإمبراطورية الرومانية .. لتتسلمها منها القوة الجديدة . وكانت في خطر من ضياع الإمبراطورية بكاملها .
وعلى الرغم من أن القسطنطينية لم تقع -تماماً- في يد الجيوش العربية كما وقعت مصر وسورية ، فقد استمر الضغط عليها فترة طويلة . وفي موجة التوسع الثانية وقعت القسطنطينية بالفعل سنة ١٤٥٣م . وفي قلب أوروبا المفزعة ذاتها أحاط الحصار بفيينا سنة ١٥٢٩م ، بينما ظل الزحف ، الذي بدأ عنيداً لا يلين ، مستمراً في طريقه . وحدث ذلك مرة أخرى في وقت قريب لم يتناول عليه العهد في سنة ١٦٨٣م .

وإن وقوع تشيكوسلوفاكيا في قبضة الشيوعية عام ١٩٤٨م لم يكن له قط في العصر الحديث ذلك الفزع في نفوس الغرب المتهيب ، كما كان لذلك الزحف المستمر قرناً بعد قرن ، من تلك القوة الضخمة المهذبة ، التي لا تكف ولا تهدأ ، ويتكرر انتصارها مرة بعد مرة} .

ويتحدث سميث عن عالم الأفكار والعقائد فيقول : {كان الهجوم الإسلامي موجهاً إلى

عالم النظريات كما هو موجه إلى عالم الواقع ، وقد عملت العقيدة الجديدة بإصرار على إنكار المبدأ الرئيسي للعقيدة المسيحية ، التي كانت بالنسبة لأوروبا العقيدة السامية التي أخذت - في بطن - تبني حولها حضارتها ، وكان التهديد الإسلامي موجهاً بقوة وعنف ، وكان ناجحاً مكتسحاً نصف العالم المسيحي تقريباً ، والإسلام هو القوة الإيجابية الوحيدة التي انتزعت من المسيحيين أناساً دخلوا في الدين الجديد وآمنوا به .. بعشرات الملايين } .

وقد سجل محمد أسد حقيقة من حقائق المجتمع الغربي في (الإسلام على مفترق الطرق) فقال : (وبسقوط القسطنطينية فُتح باب أوروبا على مصراعيه للسيل الإسلامي . وفي القرون التي تلت والتي امتلأت بالحروب ، لم تبق عداوة أوروبا للإسلام ذات أهمية ثقافية فحسب ، بل زادت أهمية سياسية أيضاً . وهذا زاد في اشتداد تلك العداوة .. ولقد كانت هذه البغضاء تغمر الشعور الشعبي كلما ذكرت كلمة .. مسلم ..) .

٢- الأسباب المعاصرة :

حين تجمعت في عدد من بلدان أوروبا قوة علمية وصناعية .. وجد قادة تلك الدول ، السياسيون والاقتصاديون ، أن استمرار نهضتهم رهن بأمرين :

- ١- السيطرة على مصادر المواد الخام خارج حدودهم .
- ٢- ترتيب العلاقة مع الدول التي لديها ثروات ، ولا تملك قدرة على التصنيع ، بحيث تبقى تلك الدول سوقاً تستهلك ما تنتجه المصانع الأوروبية .

ورأت قوى الجشع الأوروبي أن منطقة العالم الإسلامي تحقق قسطاً كبيراً من أحلامهم الاستغلالية النهبية... فباشروا بوضع الخطط وتنفيذها ، وتمكنوا بعد جهود مضمينة من تحقيق ثلاثة أهداف رئيسية ، كان لها نتائج قاتلة في حياة المسلمين :

- ١- إلغاء الخلافة .. باعتبارها السياج السياسي الجامع للمسلمين .
- ٢- تنحية الشريعة عن الحكم .. باعتبارها المرجع التشريعي والثقافي المميز لأمة الإسلام .
- ٣- زعزعة عقيدة البراء والولاء .. العاصمة من تسرب الدعوات الضالة .

ونشأت بفعل الهجمة العسكرية ، والطغيان الفكري الثقافي الغربي ، ظواهر في دنيا المسلمين... تمثلت في :

- ١- ضلالات عقيدية وفكرية .

٢- انحرافات سلوكية .

٣- شيوع الجريمة وانتشار المخدرات .

٤- بروز دول التجزئة والأنظمة الاستبدادية .

٥- فرض الكيان الصهيوني في قلب بلاد المسلمين وحمايته ، تمهيداً للهزيمة النفسية الكاملة .

وفوجئ ساسة الغرب بظهور تيار شعبي نام .. يروم تنقية مفاهيم الإسلام من مؤثرات

الماضي السلبية .. ويصر على تخليصه من تزيف الحاضر .. ويردد باعتزاز معاني جسدها وليد

الأعظمي شعراً فقال :

شريعة الله للإصلاح عنوانُ

وكل شيء سوى الإسلام خسرانُ

لما تركنا الهدى حلت بنا محنٌ

وهاج للظلم والإفساد طوفانُ

لا « حمورابي » ولا « خوفو » يعيد لنا

مجداً بناه لنا بالعزَّ قرآنُ

تاريخنا من رسول الله مبدؤه

وما عداه فلا عزَّ ولا شانُ

محمدٌ أنقذ الدنيا بدعوته

ومن هداه لنا رَوْحٌ وريحانُ

لا خيرَ في العيش .. إن كانت حضارتنا

في كل يوم لها تنهدُ أركانُ

لا خيرَ في العيش .. إن كانت عقيدتنا

أضحى يزاحمها كفرٌ وعصيانُ

لا خيرَ في العيش .. إن كانت مبادئنا

جادت علينا بها للكفر أذهانُ

لا خيرَ في العيش .. إن كانت مواطننا

نهباً بأيدي الأعداء أينما كانوا

واهتزت مراكز (العلمانية) داخل الوطن الإسلامي .. وشعر الغرب والمتغربون بأن جيل الاستقلال الثقافي قادم .. فكان لا بد من تجديد الهجوم على الإسلام .. في محاولة لتطوير جهود المقاومة الإسلامية .. وإفساد قابليات (التحرر الثقافي) الذي يُعدُّ مقدمة طبيعية للتخلص من الوجود الخارجي في الإرادة ، والثروات ، والتشريع لواقع الحياة .

وشارك في تصعيد الهجوم على الفكرة الإسلامية جهات داخلية وخارجية .. تبنت جميعها شعارات تدل على ما تنطوي عليه من إجراءات قمعية ، مثل :

▪ **ضرب البنية التحتية للأصوليين** .. ويعنون بذلك التضييق على المؤسسات التعليمية والإغاثية ، مثل : المدارس ، ورعاية الأيتام ، ونحو ذلك . وتخويف من يدعم مثل هذه المؤسسات بالتطرف وتمويل الإرهاب .

▪ **تجفيف منابع الفكر الأصولي** .. ويريدون بذلك تحوير مناهج التربية والتعليم ، ومنع انتشار الفكر الإسلامي الحر ، رغبة في تنشئة أجيال على مفاهيم ممسوخة ، تكون هذه الأجيال أدوات تعويق النهوض الإسلامي .

▪ **نعم للمعتدلين .. ولا للمتطرفين** .. ويهدفون من وراء ذلك إلى توليد (فكر متفاهم) تحت عنوان (الواقعية) و (العقلانية) ونحو ذلك .



من عرضنا السابق نخلص إلى الجواب عن السؤال المطروح :

إن الغرب والمتغربين يخوِّفون من الإسلام... لأن الحركة الإسلامية - على الرغم من كل نواقصها - قد خطت خطوات واعدة وتمكنت من تشكيل تيار عنده قابليات النمو والانتشار ..
يتبنى :

▪ التحرر السياسي والاقتصادي والتشريعي... في مقابل التبعية المفروضة على المسلمين في هذه المجالات .

▪ الوحدة في مواجهة التجزئة .

▪ تحرير أرض الإسلام من مستعمراتها .

▪ العدل... في مواجهة الظلم والاستبداد والاستغلال المحلي والدولي .

و حين تتحرر إرادة الأمة المسلمة وأرضها ، وتتوحد ، وتنعم بالعدل ، فإن عوائق نهوضها الحضاري ستزول ، وستقدم عندئذ للبشرية نموذجاً لنظام إنساني ؛ يحافظ على مكتسبات النهضة الغربية ، ويكشف عن عوار الانحرافات والممارسات الظالمة ، ويهدي البشرية للتي هي أقوم . وهذا كفيل بلفت أنظار المنصفين من أبناء الغرب .. الذين قد يسارعون إلى اعتناق الإسلام .. وحمل رايته التحريرية إلى الآفاق .

لذلك فإننا نرفع صوتنا داعين حملة رسالة الإسلام إلى الاستزادة من العلم الذي يقوي بصيرتهم ، وإلى تصويب مناهج عملهم في ضوء المعرفة والتجارب ، ونحذرهم من الوقوع في أحابيل الشياطين ، الذين يسعون إلى صناعة أجواء تنمي (أخلاق المداهنة والركون إلى الظالمين) وندعوهم إلى تحمل تبعات الدعوة إلى الله تعالى ، وإلى القيام بمتطلبات عملية تحرير الإنسان ، متدبرين قول الله تعالى :

﴿ لَتُبْلَوْنَ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ آوَتْوَا لِكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيراً وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ [آل عمران: ١٨٦] .



فخ العولمة

حول العنوان :

استعرت عنوان الموضوع من الكتاب الذي كتبه بالألمانية السيدان : (هانس بيتر مارتين Hans Peter Martin) و (هارالد شومان Harald Schumann) وقام بترجمته إلى العربية الدكتور عدنان عباس علي ، وراجعته وقدم له الأستاذ الدكتور رمزي زكي ، والكتاب صادر عن سلسلة (عالم المعرفة) الكويتية .

يقول الدكتور رمزي زكي في المقدمة : (حينما انتهيت من قراءة هذا الكتاب قلت في دخيلة نفسي : ما أروع هذا الكتاب ، وما أعظم الدروس والعبر التي يخرج بها القاريء من قراءته له! ، بل ما أروع نُبل الرسالة التي أراد المؤلفان أن يبعثا بها للقاريء ، حيث يمتلك المؤلفان رؤية إنسانية حميمة ؛ تدافع عن كرامة الإنسان وحقوقه في هذا العالم الذي أصبح متوحشاً) .

ويصرح الدكتور زكي بسبب إعجابه بالكتاب وتقديره للمؤلفين بقوله :

(والحقيقة هي أن الميزة الأساسية التي تميز بها هذا الكتاب ، هي تلك المقدرة اللافتة للنظر التي يمتلكها مؤلفا الكتاب ، على تبسيط وشرح واستخلاص أعقد الأمور والقضايا ، والنتائج التي تنطوي عليها قضية العولمة ، وهي القضية التي كثر الحديث عنها -فجأة- ليس فقط على المستوى الأكاديمي ، وإنما أيضاً على مستوى أجهزة الإعلام والرأي العام والتيارات السياسية والفكرية المختلفة ... ولم يعد الأمر يقتصر على مساهمات الاقتصاديين وعلماء السياسة أو المهتمين بالشؤون العالمية ، بل تعدى الأمر ليشمل مساهمات الاجتماعيين والفلاسفة والإعلاميين والفنانين ، وعلماء البيئة والطبيعة ... الخ) .



أبرز المحاور :

وقد آثرت الحديث -بإيجاز كبير- عن أهم المحاور التي تناولها الكتاب ، لأنها تعبر عن رؤية مشتركة للواقع الذي يهدد مستقبل الإنسان ، ولأن النتائج التي توصل إليها المؤلفان ونصحا بها شعوب أوروبا جديرة بأن يتأملها التيار الإسلامي ؛ ليطلع على المسؤولية الكبرى الملقاة على عاتقه في المساهمة الفعالة من أجل إنقاذ المسلمين وغيرهم من الطامات المهلكات :

أولاً- العولمة الحديثة .. ردة إلى الماضي السحيق للرأسمالية : (فبعد قرن طغت فيه الأفكار الاشتراكية والديمقراطية ومبادئ العدالة الاجتماعية .. تلوح الآن في الأفق حركة مضادة تقتلع كل ما حققته الطبقة العاملة والمتوسطة من مكتسبات ، وليست : زيادة البطالة ، وانخفاض الأجور ، وتدهور مستويات المعيشة ، وتقلص الخدمات الاجتماعية التي تقدمها الدولة ، وإطلاق آليات السوق وابتعاد الحكومات عن التدخل في النشاط الاقتصادي وحصر دورها في (حراسة النظام) وتفاقم التفاوت في توزيع الدخل والثروة -وهي الأمور التي ترسم الآن ملامح الحياة الاقتصادية والاجتماعية في غالبية دول العالم- .. كل هذه المظاهر ليست في الحقيقة إلا عودة إلى البدايات الأولى للنظام الرأسمالي إبان مرحلة الثورة الصناعية (١٧٥٠-١٨٥٠) وستزداد سوءاً مع سرعة تحرك عجلات العولمة الحديثة) .

ويتنبأ المؤلفان بأن الأمور إذا سارت كما هي عليه اليوم فسيشهد القرن الحالي أن ٢٠% من سكان المعمورة يمكن أن يحصلوا على العمل الذي يمكنهم من العيش في رغد وسلام ، وأن ٨٠% سيفيضون عن الحاجة ، ولن يتمكنوا من العيش إلا من خلال مؤسسات الإحسان والعمل الخيري. ويدلل المؤلفان على ما يسميانه (ديكتاتورية السوق والعولمة) بما يروجه مفكرو هذه

الظاهرة ، مثل قولهم :

(إن مراعاة البعد الاجتماعي واحتياجات الفقراء أصبحت عبئاً لا يطاق)

(إن دولة الرفاه تهدد المستقبل ، وإنها كانت مجرد تنازل من جانب رأس المال إبان

الحرب الباردة)

(على كل فرد أن يتحمل قدرًا من التضحية حتى يمكن كسب المعركة في حلبة المنافسة

الدولية)

وهذا ما يطبق في الواقع من غير استشارة الشعوب .. وهذه هي الديكتاتورية

ثانياً- رأس المال يزعزع سلطة الدولة : ويتحدث المؤلفان عن (أهمية رأس المال) وكيف

يضغط أصحاب رؤوس الأموال على الحكومات لكي تمنحهم امتيازات .. في الضريبة والخدمات

والأجور .. وإلا هربوا أموالهم !! .

ثالثاً- الترويج لحنمية العولمة ذات الاتجاه الليبرالي المتطرف : فالعولمة عند منظريها شبيهة

بالحوادث الطبيعية التي لا يمكن الوقوف في وجهها .. ويفند هذا الإدعاء بأن سياسات معينة هي

التي فرضت هذا الشعور ؛ بما أوجدته من أوضاع ، وبما فرضته على الحكومات من تغيير للنظم

والقوانين .. فما يجري لا يعبر عن «حتميات» لا يمكن تجنبها ، بل هي إرادات سياسية واعية بما

تفعل ، وعبرت عن مصلحة الشركات دولية النشاط .

رابعاً- بطلان القول بأن انصهار الاقتصادات الوطنية والإقليمية في اقتصاد عالمي موحد

يعود بالخير على الجميع .. فالعالم سيتحول إلى جزر من الفقر والحاجة .. وسيتضاعف حجم

الديون على الدول الفقيرة والنامية .

خامساً- العولمة تعني ازدياد الفروق بين البشر والدول اتساعاً لا مثيل له .. بسبب

تركز الثروة والمعرفة في أيدي فئات قليلة .

٣٥٨ ملياردير يملكون الآن ثروة تضاهي ما يملكه ٢.٥ مليار من سكان المعمورة

٢٠% من دول العالم تستحوذ على ٨٥% من الناتج العالمي الإجمالي

وعلى ٨٤% من التجارة العالمية

ويملك سكانها ٨٥% من المدخرات العالمية

وهذا التفاوت على المستوى العالمي يوازيه تفاوت داخل كل دولة

سادساً- دور صندوق النقد الدولي وغيره من المؤسسات النقدية العالمية .. مدمر
لاقتصاديات الدول .. بما يروجون ويدعون إليه من حرية حركة الأموال وتقليص لدور الدولة ..
تحت عنوان (تحرير الأسواق النقدية والمالية) وما يضعونه من عقوبات صارمة لمن يخالف
التعاليم ! .

سابعاً- بطلان الربط بين .. الديمقراطية والسوق .. واعتبار ذلك من الحتميات ..
فالواقع يدل على أن الديمقراطية تسخر لخدمة أصحاب رؤوس الأموال !!
ثامناً- إن نموذج الحضارة الذي ابتدعه الغرب لم يعد صالحاً للمستقبل .
تاسعاً- العولمة تعني .. النمو المطرد للبطالة .

عاشراً- ليس من السهل العودة إلى العهود التي سادت فيها دولة الرفاه ، وكانت
الدولة تتمتع باستقلالية نسبية في اختيار نهجها الاقتصادي والاجتماعي .
فالواقع يفرض شروطه .. ولكن يجب العمل على توجيه التنافس عالمياً بما يخدم الجانب
الاجتماعي والديمقراطي في حياة الأمم .

أحد عشر- إن العولمة ستواجه من قبل الذين تثقلهم تكاليفها بالانعزالية ، وهذا سيهدد
النظام العالمي القائم اليوم بالبور .

الثاني عشر- يجب أن يؤيد الأحرار كل حركات التمرد على العولمة الحديثة .. وهي
حركات تنمو في أوروبا وأمريكا وسائر بلدان العالم .



كيف تواجه سلبيات العولمة :

وبعد جولات موفقة في تنفيذ مزاعم مفكري (العولمة) يرفع المؤلفان صوت النذير في
أوروبا ، ويدعون إلى العودة من جديد إلى مشروع (دولة الرفاه) على المستوى الأوروبي ، وقاما
بطرح تصور يتضمن عشر نقاط لمواجهة العولمة الليبرالية الحديثة ، وهي -بمضمونها- تصلح
(وصفة) للجماعات وشعوب العالم الإسلامي :

- ① اتحاد أوروبي ديمقراطي قوي يواجه التحديات .
- ② تقوية المجتمع المدني وتعزيز مشاعره الأوروبية .
- ③ الاتحاد النقدي الأوروبي .

- ④ توحيد القوانين الضريبية الأوروبية .
- ⑤ فرض ضريبة على التجارة والقروض .
- ⑥ معايير بيئية واجتماعية دنيا للتجارة الخارجية .
- ⑦ إصلاحات ضريبية أوروبية لحماية البيئة .
- ⑧ فرض ضريبة أوروبية على السلع الكمالية .
- ⑨ تكوين النقابات العمالية الأوروبية القوية .
- ⑩ التوقف عن تحرير الاقتصاد من دون تعزيز للرعاية الاجتماعية .



نظرتنا إلى العولمة :

١- العولمة : فكرة قديمة تظهر بوسائل جديدة .. وهي صورة -أو مرحلة- من الرأسمالية الليبرالية التي نتعامل معها منذ عقود ، والتي كانت تتصارع مع الفكر الاشتراكي من أجل نشر ما يراه أصحاب كل مذهب في أصقاع الأرض ، فلا ينبغي أن تشغلنا الوسائل عن المضمون .

٢- والعولمة -قديماً وحديثاً- تعمل في حياة الأمم والجماعات وفق قوانين واضحة لا تختلف عن قوانين (الضغط العالي .. والضغط المنخفض أو الأواني المستطرقة) فإذا لم يكن هناك صمامات تمنع أو تحد من حركة الهواء أو الماء فإنهما ينتقلان بسهولة ويسر ، ويحدثان آثاراً في مواطن الضغط المنخفض أو الفراغ . وكذلك العلاقة بين الأمم والشعوب .

٣- العولمة تهدف إلى تفكيك القوميات والهويات الثقافية والاقتصادات وإعادة بنائها بما يخدم أهداف مراكز القوة والنفوذ ..

والأسس التي تطالب بها العولمة المعاصرة :

- سيطرة السوق وقواعد قيمها .
- تمجيد النزعة الفردية والديمقراطية على النمط الغربي .
- تمجيد الاستهلاك السريع والترفيه .
- تشجيع المضاربة في البورصات على أسهم وسندات من أجل تشغيل الكتلة المخيفة من الأموال ذات الأصول المصرفية وغير الإنتاجية (الاستثمارات المصرفية أكبر بثلاثين مرة من الاستثمارات الإنتاجية في السلع والخدمات) .

٤- العولمة الاقتصادية تبسيط لمفهوم العولمة التي تعكس آثاراً اجتماعية وسياسية وثقافية وحضارية .. وهذا أمر طبيعي .. إذ لا يمكن فصل الإنسان إلى جوانب ودوائر لا يؤثر بعضها في الآخر .

وهذه النظرة الشمولية إلى مفهوم العولمة تتبناها أمريكا .. وتجد معارضين ينادون بالخصوصيات الثقافية والحضارية (فرنسا ، كندا ، اليونسكو ..) وأنه يجب استثناءها من حركة السوق ، إلا أن آلة الهيمنة الأمريكية جعلت تأثير هذه الأصوات خافتاً .

٥- من أهم سمات العولمة المعاصرة :

- ① الهيمنة على اقتصادات العالم من خلال مؤسسات عالمية (البنك الدولي -صندوق النقد الدولي- منظمة التجارة العالمية -نادي باريس- الشركات متعددة الجنسيات ...).
- ② زيادة نفوذ الشركات متعددة الجنسيات وذلك بالسيطرة على تدفق رؤوس الأموال ، والاستثمارات ، والإعلام ، والمعلومات .. وهذا مكّن هذه الشركات من السيطرة على المعرفة .
- ③ دعم وتغذية دول المركز وإضعاف وتهميش دول الأطراف .. بما يستتبعه ذلك من إشكالات اجتماعية وأخلاقية ..
- ④ توجيه المعرفة باتجاه اهتمامات أصحاب رؤوس الأموال والقوى المسيطرة .. والإمساك بالعقول المبدعة وتوظيفها في مجال خدمة أهداف الممولين .

٦- أليس للعولمة إيجابيات ؟ نعم ، ومنها :

- المزيد من المعلومات وتسارع الحصول عليها .
 - ازدياد عمليات الاتصال والحوار الثقافي .
 - انخفاض التكلفة في نقل المعلومات والأخبار .
 - تطوير وسائل الاتصال : الكومبيوتر ، القنوات الفضائية ...
- ولكن هذه الإيجابيات وغيرها تتضاءل -اليوم- أمام العقبات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية .. الخ ، التي تملكها دولٌ أو شركات غربية قادرة على صناعة المعلومات والأخبار وتوجيهها ...

يضاف إلى ذلك : حالة الاغتراب الثقافي التي يعيشها المسلمون .. ومن الدلائل عليها :

■ الهزيمة النفسية لما لكي زمام الأمور في العالم الإسلامي أمام النموذج الغربي-الأمريكي.

▪ استيراد المواد الترفيهية والإعلامية والثقافية من الوكالات الغربية .. مما يؤدي إلى (الانسحاق الثقافي) أمام آلة المعلومات الموجهة ..

٧- **الخوف من العولمة** : من حق المسلمين وغيرهم أن يخافوا من آثار العولمة وامتداداتها ، بل إن دولاً في المنظومة الغربية تبدي تخوفها على ثقافتها الوطنية .. مع العلم أنها متحدة في الأصول الفكرية :

- فدولٌ مثل فرنسا وكندا يشكون من زيادة نسبة المواد الإعلامية الأمريكية (٦٥%) التي تتحرك في فضائهم الثقافي .

- وفرنسا تمنع أن تزيد نسبة البرامج الأجنبية (في محطات الكوابل) عن ٣% .

- وزير خارجية كندا الأسبق (فولكنر) يقول :

(لئن كان الاحتكار أمراً سيئاً في صناعة استهلاكية ، فإنه أسوأ إلى أقصى درجة في

صناعة الثقافة حيث لا يقتصر الأمر على تثبيت الأسعار وإنما تثبيت الأفكار أيضاً) .

٨- **الموقف** :

- للعولمة إيجابيات وسلبيات .. ويجب أن يرفض المسلم سلبياتها .

- التحصين الفردي .. جيد وضروري ولكنه لا يكفي .

- التحصين الجماعي .. هو الأصل ، ويجب الإبداع في صورته .

- على مستوى الأمة .. الاعتزاز بالإسلام .. والوحدة .. هما دعامة مواجهة تحديات

العولمة بالإضافة إلى اقتراحات سبق ذكرها .

- وجوب التلاحم مع قوى الخير العالمية التي تتصدى للجوانب المتوحشة من العولمة .

الهوامش

(١) لمزيد من الاطلاع على بحث وليام بولك يراجع العدد ٣٢٠ من مجلة (المستقبل العربي) .

ملاحظات :